المشرق

السنة الثانية والاربعون
نيسان – حزيران ١٩٤٨

مزاعم المؤرخين العباسيين

في وصف شرَه الامويين

معاوية بن ابي سفيان وزياد بن ابيه وسليمان بن عبد الملك

بقلم حبيب زيات

لم يكتفِ العباسيون حين أدالهم الدهر من بني امية بتتبع رجالهم بالقتل والافناء والتشريد وتقويض ابنيتهم ومصانعهم وانتهاك حرمة قبورهم لاحراق رممهم وتذرية رمادها في الريح بل تعمدوا ايضاً ازالة كل ذكر لهم وتشويه كل خبر عنهم وتعفية كل اثر من آثارهم في ما عدا المساجد وبيوت العبادة كالجوامع الاموية بدمشق وحلب وبيت المقدس وقد اتّهم المأمون مع فضله وجلالة قدره وانصافه بنزع اسم «عبد الملك» بن مروان من فسيفساء قبة الصخرة وإنزال اسمه «عبدالله» مكانه قال صاحب مرآة

الزمان وقد قرأ الكتابة الاصلية مراراً « واين ايام عبد الملك من ايام المأمون ؟ بينهما نحو من خمسين ومائة سنة »[1] وشهد ان ذلك من فعل بعض الجهال في ايامه . ولا شك ان هذه الضراوة على طمس كل حديث صحيح عن الامويين كانت ايضاً هي العامل الاكبر في تبديد كل الكتابات وابادة كل السجلات القديمة والدفاتر الباقية من تركة الخلفاء الدمشقيين بحيث لم ينتهِ الينا من اخبار ذلك العهد مؤلف واحد يمثل لنا تلك الايام ويحكي بغاية الصدق والحقيقة ما تقدم من الانباء والوقائع ويصف اخلاق من درج من الرجال والقبائل وصفاً منزهاً عن كل تعصب وهوى ولما كان الناس على دين الملوك في كل زمان ومكان تقرب الكتبة والمؤرخون والقصاص والمحدثون من رضى العباسيين بوضع الاخبار والمقالات في رواية الحوادث ونعت الرجال على الوجه الذين كانوا يعلمون انه اجدر بالحظوة لدى السلطان وابلغ في الغض من الدولة البائدة ولذلك لا نكاد نجد اليوم في كل هذه الاسفار التي ورد فيها شرح اخبار الامويين اقل انصاف واعتدال في الكلام عليهم فضلاً عما هنالك احياناً كثيرة من الطعن واللعن والازراء وسوء الثناء او المجازفة والاختلاق في نقل الروايات وايراد النوادر والنكات .

ومن هذه الاخبار والاوصاف التي ذهب فيها الاغراق كل مذهب وتبارى الندماء والسمار في التنادر بها في مجالس دار السلام وحلقات القصاص وصف نهم معاوية بن ابي سفيان وزياد بن ابيه وسليمان بن عبد الملك خاصة ورووا ما شاؤوا في مقدرتهم الخارقة على الازدراد والهضم الى حد يفوق كل امكان ويتجاوز كل ادراك .

وقد اشتهر عندهم معاوية بشدة الشره والاكثار من الطعام على غلظه حتى ضرب به المثل عندهم في سعة البطن كالهاوية كأنهم نظروا الى ان نصف اسمه « معا » فقدروا ان نصف جسمه امعاء قال ابو محمد القزويني الضرير في رجل اكول .

وصاحب لي بطنه كالهاوية ... كأن في امعائه معاوية[2]

١) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي خزانة بريتش موزيوم 2 add 232,77 f
٢) اليتيمة للثعالبي طبعة دمشق ٣: ٢١٦

وزعم البلاذري ان الرسول دعا معاوية يوماً وهو يأكل فابطأ فقال لا اشبع الله بطنه فكان يقول لحقتني دعوة رسول الله وكان يأكل في اليوم سبع اكلات واكثر واقل[١] واورد ابن الطقطقى ما كان شائعاً متناقلاً عنه في ايام العباسيين من الخوارق والغرائب فقال :

« كان معاوية رضي الله عنه نهماً شحيحاً عند الطعام على كرمه وسماحته فاما نهمه فقالوا انه كان يأكل في كل يوم خمس اكلات آخرهن اغلظهن ثم يقول : يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مللت وروي انه أصلح له عجل مشويّ فاكل معه دستاً من الخبز السميذ واربع فراني وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الالوان ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلى الرطب فاتى عليه »[٢] .

ومن الغريب جداً جواز مثل هذا التخريف على ما تبين فيه من البعد والاستحالة وكان معاوية لا يجهل ما تورثه البطنة من الاسقام والعلل قيل سأل مرة رجلاً عن ابن له أكول فقال له : اعتلّ فقال معاوية : مثله لا يعدم علة[٣] فهل يعقل انه كان يعلم هذا العلم ويعرّض نفسه للمرض وقصر الاجل راضياً مختاراً مع شدة حرصه على طول الاستمتاع بالملك والخلافة ؟

وحكى البلاذري ايضاً عن عبيدالله بن زياد بن ابيه انه كان « اكولاً يأكل في اليوم خمس اكلات آخرها جبنة بعسل توضع بين يديه بعد فراغه من الطعام وكان يأكل جدياً او عناقاً يتخيّر له في كل يوم فيأتي عليه ومرّ بالطف فقال رجل من بني اسد : أتتغدّى اصلح الله الامير ؟ فأكل عنده عشر بطات وزبيلاً من عنب ثم عاد واكل عشر بطّات أخر وزبيلاً من عنب وجدياً »[٤].

ولا شك ان نسبة ابن زياد الى بني امية أكسبته عند العباسيين هذه النهمة الطائلة .

واين شهرة معاوية وابن زياد من شهرة سليمان بن عبد الملك بالشره والافتراس عند مؤرخي العباسيين وحسبنا للدلالة على مغالاتهم وتهويلهم في

---

١) فتوح البلدان طبعة اروبة ٢ : ٤٧٣
٢) الفخري طبعة مصر ٩٨ ونهاية الارب للنويرى ١ : ٣٤٣
٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٢٨
٤) انساب الاشراف ٤ : ٨٦

شأنه ان ننقل ما حكاه اثنان فيهم فقط وهما ابو الفرج ابن الجوزي وابو المظفر بن قزغلي[1] اي الجدّ والسبط في كتابيهما المشهورين: المنتظم ومرآة الزمان.

قال ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي باسناده الى عبدالله بن الحارث :

« كان سليمان بن عبد الملك أكولًا . وكان بينه وبين عبدالله وصلة قال: قال لنا سليمان يوماً: « اني قد امرت قيم بستان لي ان يحبس عليَّ الفاكهة ولا يجني منها شيئاً حتى تدرك . فاغدوا علي مع الفجر — يقول لاصحابه الذين كان يأنس بهم — لنأ كل الفاكهة في برد النهار » فغدونا في ذلك الوقت وصلى الصبح وصلينا ثم دخل فدخلنا معه فاذا الفاكهة متهدلة على اغصانها واذا كل فاكهة مختارة قد ادركت كلها فقال: كلوا: ثم اقبل عليها . فاكلنا بمقدار الطاقة واقبلنا نقول: « يا أمير المؤمنين هذا العنقود » فيخرطه في فيه « يا امير المؤمنين هذه التفاحة » كلما رأينا شيئاً نضيجاً اومأنا اليه . فيأخذه فيأكله حتى ارتفع الضحى ومتع النهار . ثم اقبل على قيم البستان فقال: « ويحك يا فلان اني قد استجعت فهل عندك شيء تطعمنيه ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين عناق حولية

---

١) جاء في حاشية شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ٢٦٦) تعليق لطابع الكتاب على وفاة ابي المظفر سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤ زعم فيه ان صحة اسمه يوسف بن فرغلي (بالفاء والغين) قال : « في الاصل (قزعلى) وفي كثير من كتب التاريخ كالنجوم والاعلام وابن الجزري (قزأوغلي) وكلاهما وما يتصحف منها خطأ ويسمى بعضهم لتعليله تعليلًا اعجمياً فاسدًا والصواب (فرغلي) كما في نسخة قديمة من الوافي بالوفيات وابن خلكان وغيرهما من كتب الادب »

وقد عنّ لنا ونحن في اكسفرد ان نبحث في خزانتها في نسخة من الوافي بالوفيات عن صحة هذا الاستدراك فما كان اشد دهشنا حين وجدنا الصفدي يقول في ترجمة ابي المظفر ما نصّه بالحرف ننقله لما فيه من الاشارة الى مجازفات صاحب مرآة الزمان وهي بعض موضوع مقالتنا الحاضرة قال :

« يوسف بن قزغلي بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام ابن عبدالله الامام المؤرخ شمس الدين ابو المظفر . . . سبط ابن الجوزي . . . وكان والده قزغلي من موالي الوزير عون الدين بن هبيرة . . . ويقال في والده زغلي بحذف القاف » ثم اشار الى مرآة الزمان فقال : « وانا ممن حسده على التسمية وهي لائقة بالتاريخ . كأن الناظر في التاريخ يعاين من ذُكر فيه في مرآة الا ان في المرآة صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في اماكن معروفة »

(Seld. arch. a. 29 fol 115)

حمراء.» قال: «أئتني بها ولا تأتني معها بخبز» فجاء بها على خوان لا قوائم له وقد ملأت الخوان فاقبل يأخذ العضو فيجيء معه فيخرطه في فيه ويلقي العظم حتى اتى عليها ثم عاد لاكل الفاكهة واكل ملياً ثم قال للقيم: «هل عندك شيء تطعمنيه؟ قد جعت.» قال: «عندي سويق كأنه قطع الاوتار وسمن وسكر» قال: افلا اعلمتني هذا قبل؟ ائتني به واكثر» فجاء بقعب يقعد فيه الرجل وقد ملأه من السويق قد خلطه بالسكر وصب عليه السمن واتى بجرَّتي ماء بارد وكوز فاخذ القعب على كفه واقبل القيم يصب عليه الماء فيحركه حتى كفأه على وجهه فارغاً ثم عاد الى الفاكهة فاكل ملياً حتى هجرت عليه الشمس ودخل وامرنا ان ندخل الى مجلسه فدخلنا وجلسنا فما مكث ان خرج علينا فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يؤذنه بالغداء. فأومأ ان إيت بالغداء فوضع يده فأكل فما فقدنا من اكله شيئاً»[1].

ولم يقنع المؤرخون العباسيون بنقل هذه الحكاية دون اقل إنكار لها بل ارادوا الإكثار من نظائرها ورواية ما يقرب منها وحياكة نسج على منوالها في الطائف في قصة اسندوها الى الشمردل وكيل آل عمرو بن العاص قال فيها:

«قدم سليمان بن عبد الملك الطائف وقد عرفت شراهته[2] فدخل هو وعُمر بن عبد العزيز وايوب ابنه بستاناً لعمرو قال: فجال في البستان ساعة ثم قال: ناهيك بما لكم هذا مالا لولا جرار فيه. فقلت: يا امير المؤمنين انها ليست بجرار ولكنها جُرُب الزبيب. فجاء حتى القى صدره على غصن ثم قال: ويلك يا شمردل أما عندك شيء تطعمني؟ قلت: بلى والله ان عندي لجدياً تغدو عليه بقرة وتروح اخرى. قال: اعجِل به. فاتيته به كأنه عُكة وتشتو فاكل ولم يدعُ ابنه ولا عُمر حتى ابقى فخذاً فقال: يا أبا حفص هَلُمَّ. قال: اني صائم ثم قال: ويلك يا شمردل اما عندك شيء؟ فقلت: بلى والله. دجاجات ست كأنهن رئلان النعام فاتيته بهن فكان يأخذ رجل الدجاجة حتى يُعري عظمها ثم يلقيها بقيه حتى اتى عليهن ثم قال: ويلك اما عندك شيء؟

1) جزء من المنتظم في تاريخ الملوك والامم في خزانة اكسفرد:
Bodleian Library, Arab. Poc. 255 fo 4

2) في الاصل المطبوع «شجاعته» فاصلحناها

فقلت : بلى والله : ان عندي لحريرة كقُراضة الذهب . فقال : اعجل بها . فاتيتهُ بعسّ يغيب فيه الرأس فجعل يتلقفها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ كأنه صاح في جب . ثم قال : يا غلام أفرغتَ من غدائنا ؟ قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال : نيّف وثمانون قدرا . قال : فأتني بها قدرًا قدرًا . فاتاه بها وبقناع عليه رُقاق فاكثر ما أكل من قدر ثلاث لقم واقل ما اكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه واذن للناس ووضعت الخوانات فجعل يأكل مع الناس »[1]

وابلغ من ذلك ما رواه ابو المظفر بن قزغلي وكأنه اراد ان يربي على ما حكاه جدّه فقال بكل جدّ :

« سليمان بن عبد الملك ... قال الواقدي كان شرهاً اكولا يأكل في اليوم الواحد مئة رطل (كان القنطار ستة في الاموبين) ويتناول في ساعة واحدة اربعين رقاقة مع عدة خرفان ... وقال هشام : كان الطباخ يأتيه بالسفافيد وعليها الدجاج المشويّ فيدخل يده في كمّه وعليه ثياب الوشي فيمسك السفود بيده ويأكل منه اربعين دجاجة . وقال المدائني : حجّ سليمان فقال لقيّمه على طعامه : أطعمني من خرفان المدينة . ودخل الحمام وخرج وقد شوى له اربعة وثمانين[2] خروفاً فاكل من كل خروف جارحة مع شحم كلية حتى اتى على آخرها . ثم دعا الناس الى الطعام فاكل معهم مثل ما كان يأكل واتى الطائف في حجته فسأله ابن ابي زهير الثقفي ان ينزل عليه فنزل فجاءه برمّان فأكل منها مئة وسبعين رمانة وخروفاً وست دجاجات وعشرين رقاقة ثم اكل مع الناس .

« قال الاصمعي كنت حاضرًا عند الرشيد يوماً فجيء بصناديق من ذخائر بني امية ففتح صندوقاً منها فوجد فيه ثياب الوشي وقد سال الدهن على صدورها واكمامها . فسأل الناس عن ذلك فلم يجد عندهم علماً وكان عنده رجل

---

١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٣ : ٢٢٧-٢٢٨ والعقد الفريد لابن عبد ربه طبعة مصر ١٩٤٦ ج ٤ : ٤٣١-٤٣٢

٢) مرآة الزمان . خزانة بريتش موزيوم add. 23277 fol. 116ª

من بني امية فقال : يا امير المؤمنين هذه ثياب سليمان بن عبد الملك كان شرهاً اكولا »[١]

وفي شهادة الاصمعي نظر لا يخفى على الناقد البصير لان بين الرشيد وسليمان نحو نصف قرن ويبعد جدًا ان تكون مثل هذه الثياب المتسخة بالدهن حفظت كل هذه المدة بين الذخائر وسلمت من كل نهب وضياع وبلى وآفة بين كل الفتن والحروب والوقائع التي توالت على دمشق في خلال هذه السنين فضلًا عن ان الخلفاء لم يكونوا يضنّون بمثل هذه الملابس ويذخرونها دون ان يخلعوها على خدمهم وبعض الوافدين عليهم وقد اعتاد بعض الخاصة ان يجودوا حتى بقميصهم وسراويلهم على سائليهم ومستميحيهم . واذا اتفق ان بعض ثياب سليمان بن عبد الملك حفظت يومًا فمن الغريب ان يكون العباسيون تكلفوا نقلها من دمشق الى بغداد دون ان يعلموا ما في صندوقها ويهبوه لبعض رجالهم او يكون هـذا الصندوق بقي مقفلًا كل ايام السفاح والمنصور والمهدي والهادي حتى يكون الرشيد اول مطّلع على ما فيه فلا ريب ان هذه الشهادة موضوعة لاثبات تهمة سليمان بالشره والقذارة .

وكأن المدائني لم يقنع بكل ما حشاه في ساعة واحدة في جوف سليمان من الرقاقات والدجاج والخرفان والرمان وعنده ان المعدة الاموية تتّسع لما فوق ذلك فاضاف الى ما تقدم نادرة بل معجزة اخرى فقال فيما نقله ابو المظفر ايضاً في ترجمة سليمان :

« اتاه دهقان بدابق ومعه زنبيل مملوء بيضاً وآخر تيناً اخضر فقدمه اليه فجلس يقشّر البيض ويأكل كل بيضة بتينة حتى اتى على الزنبيلين ثم اتوه بقصعة مملوءة مخًا مخلوطاً بالسكر فاكل الجميع وكان قد أكل قبل التين والبيض

---

١ روى المسعودي في مروج الذهب بعض هذه الاقاصيص الشائعة في زمانه ولكنه ذكر ان الخرفان المشويّة التي قُدّمت له بعد حمّامه كانت عشرين فما لبث العشرون ان اصبحت اربعة وثمانين

والمخ ثلثمائة وستين شاهلوكة[١] وهي عين البقر »[٢]

ومن العجيب ان يكون عدّ الخوخ ولم يعد التين والبيض مبالغة في الضبط والدقة في الرواية ولكن المدائني لم يكن ليجهل ان المعى الذي اتسع لمثل هذه التلال من الطعام والفاكهة ولو كان معىً امويّاً لا بد له ان يعجز يوماً ويخون صاحبه ولذلك لم يرَ مناصاً مع ما اشتهر من موت سليمان بعد نوبة من السعال والحمى عرضت له وهو يخطب على المنبر[٣] من ان يزعم انه بعد ان ابتلع ما ابتلع « مرض واتخم ومات ».

وهكذا وعلى مثل هذا الشكل من المجازفة والتعصب وقلة الانصاف دوّن المؤرخون العباسيون اكثر اخبار الخلفاء الامويين.

---

١) الشاهلوكة هي الاجاص ويعرف ايضاً بالشاهلوج باللغة المصرية ويقال له في الشام الخوخ . وعين البقر صنف منه اسود وفي مروج الذهب للمسعودي ان الشاهلوج اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص

٢) مجلد من مرآة الزمان . خزانة اكسفرد غير مرقوم 9 oc. arab. 371

٣) قال الصفدي في كتابه « تحفة ذوي الالباب : كان قد عرضت له سعلة وهو يخطب بدابق فنزل وهو محموم فما جاءت الجمعة الاخرى حتى دفن » (خزانة باريس ٥٨٢٧ ص ٣٣) ونقل مثل ذلك في الوافي بالوفيات رقم ٢٠٦٥ من خزانة باريس ص ٦٦

الشعوب السامية والتوحيد*

بقلم

الاب جان ستاركي عضو المعهد الفرنسي للآثار في بيروت
والاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس

لما كان الشرق السامي مهد الاديان الثلاثة التي تعلم التوحيد، تساءل العلماء عما اذا لم يكن التوحيد عقيدة شائعة بين الشعوب السامية. عن هذا السؤال اجاب رينان بالايجاب؛ والى هذا الرأي يميل العلماء اليوم، وان عدلوا فيه بعض التعديل، بعد ان اعرضوا عنه زمناً.

وقبل الاسترسال في البحث، لا بدّ لنا من بعض ملاحظات لغوية وتاريخية.

لفظة «إل» ومشتقاتها.

ان اللغات السامية القديمة تعبر عن معنى «اله» بلفظة «إل»[١] او «إلم». وقد وردت هذه اللفظة بصيغتها الاولى عند العبرانيين والفينيقيين، وبصيغتها الثانية عند الساميين الشرقيين كالاكاديين والاشوريين والبابليين[٢]. ووردت كذلك بصيغة «إله» عند الآراميين والعرب؛ ولا يجهل الساميون الغربيون كالفينيقيين والعبرانيين هذه الصيغة الاخيرة. من ذلك ان التوراة تستعمل لفظة «إلهيم»[٣] للدلالة على الله، وهي جمع «إله» للتفخيم. وان الفينيقيين يؤثرون

---

*) هذا البحث خلاصة محاضرات ألقاها المؤلف في معهد الآداب الشرقية، ونقلها الى العربية الاب ميخائيل ضومط، فظهرت في شكلها هذا، وبشهادة المؤلف نفسه، اقرب الى الموضوع الذي شاء استجلاءه في محاضراته (المشرق).

١) كتبنا هذه الاسماء كما وردت في الكتابات الاثرية دون التعرض للصيغ التي وردت فيها في مختلف الآثار الادبية وكتبنا الالفاظ العبرانية بموجب القواعد التي اثبتها اللغوي جوون P. Jouon s.j.

٢) يطلق اسم «الاكادية» اليوم على كل اللهجات السامية الشرقية.

٣) كتبنا بصورة الفتحة الممدودة (مثل الفتحة اعلاه) او بصورة حرف المد الحركة «ae» في العبرانية والفينيقية لان اصلها فتحة ممدودة.

لفظة « إليم » بمعنى اله وهي جمع « إل » للتفخيم ، واذا ارادوا « الآلهة » قالوا: « إلن » او « إلنيم » او غيرهما.

اصل لفظة « إل ».

اما اصل لفظة « إل » فلمّا يتضح. وربما اشتقت هذه اللفظة من الثلاثي « ول » او « يل » نظرًا لان الحركة اغلب الظن ممدودة ؟ من هذا الاصل اشتقت في العربية « اوّل » ، ووردت لها مشتقات اخرى تتضمن معنى الاولية ، منها في العبرانية « إلن » (الشجرة الكبيرة) و« إله » (المفرد) و« إليم » (الجمع) بالمعنى عينه ، وربما كانت منها « الآلاء » في العربية . ووردت « إليم » في العبرانية ، مجازًا ، بمعنى « الكبار » مطلقًا . وبين هذه الصيغ والصيغ الدالة على معنى « اله » شبه بيّن. وهناك سلسلة اخرى من المشتقات تدل على قادة القطيع من الحيوان منها في العبرانية والعربية لفظة « ايّل » بالمعنى المعروف. من هذا وغيره يستنتج ان معنى الاولية مما ينطوي عليه اصل لفظة « إل ».

الشعوب السامية

اليك ، بعد هذه الملاحظات اللغوية ، لمحة عن الشعوب السامية ، لبيان الزمان والمكان.

اغلب الظن ان الساميين جميعهم تحدروا من قبائل بدوية ظهرت في قديم الزمان في الجزيرة العربية. واغلب الظن ان هذه الجزيرة دفعت على مرّ العصور الى سهول العراق وسورية موجات من البشر ، نمت وتكاثرت بعد ان تبلدت في منازلها الجديدة . وقد تكون هذه الموجة او تلك تدفقت بعنف ، لم يقو على صدّه الحضر فدانوا للبدو.

من هذه الموجات ، موجة اتجهت شطر مصر ، في اواخر الالف الرابع. واليها ترقى سلالة ملوك مصر الاقدمين. عهد ذاك كان العراق بيد السومريين ، من غير الساميين . اما هؤلاء. فلا اثر لهم في العراق قبل الالف الثالث في هذا العهد (حوالى سنة ٢٥٠٠) ظهر سرجون الاول ملك اكاد (شمالي بغداد) واسس ملكًا وتقدّم شطر الغرب ، حتى « غابة الارز » . وفي العهد عينه نزلت على شاطئ

المتوسط فئة اخرى من الساميين هم الفينيقيون والكنعانيون[1] ومن اشهر مدنهم صور وصيدون وبيبلوس واوغاريت (رأس شمرا).

استرجع الساميون العراق، بعد نهضة سومرية، على يد القبائل الامورية الزاحفة من الجزيرة. والى الاموريين ترقى سلالة ملوك بابل الاولى، التي اشتهرت باحد افرادها، حمورابي، واضع الشرع المعروف. بسط الاموريون سلطتهم حتى بلاد اشور (ناحية الموصل) ونفوذهم حتى كبادوقية (شمالي قيليقية) وتكلموا، وهم بعد بدو، بلهجة سامية غربية قريبة من العربية كما تشهد بذلك اسماؤهم، وبعد نزولهم البلاد، تكلموا بالاكادية.

وقامت، على تخوم البادية، اواخر الالف الثانية، دويلات للآراميين اشهرها دويلة دمشق. وقد عمت لغتهم، بعد سقوط بابل في يد الفرس (سنة ٥٣٨ ق م)، الشرق كله من ذلك العهد الى الفتح الاسلامي، الذي يعد آخر هذه الموجات المتعاقبة واعنفها

على ان ذكر العرب في التاريخ يرقى الى القرن التاسع قبل المسيح. وقد اقلقت غزواتهم ملوك اشور. بيد انهم لم ينزلوا بكثرة بين الاموريين الا قبيل ظهور المسيحية، عندما اسست قبيلة الانباط مملكة البتراء (شرق الاردن) هذا في الشمال اما في الجنوب اي في اليمن وحضرموت، فقد تحضروا منذ زمن بعيد. وقد اكتشفت كتابات ترقى الى القرن الثامن ق م، خلفها ملوك معين وملوك سبأ. وعلى هؤلاء جميعهم يطلق مؤرخو العرب اسم الحميريين. ولم يكتب الحميريون بالحروف الفينيقية التي استخدمت لتدوين اللغات السامية الغربية، بل بحروف اخرى، اقدم واكمل، تعرف بالخط «المسند» وبهذا الخط دونت كتابات خلفتها قبائل الشمال، حوالى ظهور المسيحية.

هذه جولة لم يكن منها بد ليسهل على القارئ تتبع البحث. واننا نعرض هذا البحث في مراحل ثلاث: الساميون الاقدمون، العبرانيون، العرب قبل الاسلام.

---

١) ان اسم الفينيقيين والكنعانيين يطلق على الشعوب المتحدرة من القبائل البدوية بعد امتزاجها بغير الساميين من سكان الشواطئ المتحضرين. وكذلك قل عن الاكاديين.

١ — الساميون الاقدمون

الاكاديون

دعا الاكاديون معبودهم « بيل » (اي بعل : سيد) . وقد يكون هذا الاسم وصفاً « لإلُم » جرى مجرى الموصوف بل مجرى العلم . لكننا لا نعثر في هذا العهد على اثر لعبادة « إلم » ، مع ان ذكره لم يندثر بل حفظ في اعلام عديدة ، موروثة عن الاجداد منها « رَ — بِ — لُم » « الله اكبر » وهو تعريب سنعود اليه .

الاموريون

عبد الاموريون ، كالاكاديين ، آلهة كثيرين . غير ان الواحاً كثيرة اكتشفت في كبادوقية ، وخلفها اموريون عاشوا قبيل عهد حمورابي ، تذكر «اله ابيك» او «الاله » مطلقاً . وفي الامر دليل على ان المقصود بلفظة « إلم » انما هو اله القبيلة . وهذه النتيجة ، يبلغ بنا اليها من ناحية اخرى البحث في الاعـلام الامورية . فهناك اعلام دخل في تركيبها اسم الاله ، بينما عدد غير يسير مركب من جزئين احدهما لفظة « إل » او لفظة اخرى تدل على احد ذوي القربى امثال « زفريئل » (حفظني الاله) و « زفريابوم » (حفظني الاب) و « وزفريعمو » (حفظني العم او القريب) . من هنا نستخلص ان واضعي هذه الاسماء كانوا ينظرون الى الاله نظرهم الى احد ذوي قرباهم ، مما ينم عن ذهنية بدوية ، وان هذه الاسماء انما صاغها الاموريون الاقدمون ايام بداوتهم ، غربي الفرات . وفي لغتهم واسمهم ما يثبت هذا الرأي ، فلفظة « اموريين » معناها الغربيون ، ولغتهم تبدو اقرب الى السامية القديمة من لغة الاكاديين الذين تقدموهم بخمسة قرون .

الحميريون

وكذلك قل عن الحميريين ، الذين عـاشوا ، الف سنة بعد الاموريين ، جنوبي الجزيرة . فهم يدعون احياناً « إل » بمعية عشتر (الزهرة) مما يدل على انهم لا يعنون بـ « إل » الاله ، بل الهاً بين آخرين . على انه نُعت في احدى كتاباتهم الاثرية بـ « تعلي » (العلي) كما نعت في التوراة بـ « علين » (بالمعنى عينه) . وهم يؤلهون القمر بـ « سين » وينعتونه بـ « ود » (الصديق) وبـ « عم » (احـد ذوي القربى) واغلب الظن ان « ود » و « عم » كانا عندهم قديماً من اسماء « الاله » الاسمى .

وهم كذلك يطلقون على بنيهم اسماء مركبة من « إل » و« أب » و« أخ » و« عم » و« خال » و« داد » (بنفس المعنى). وكلها ادلة سبق لنا ان مررنا بها واستخلصنا منها انها تنم عن ذهنية اناس كانوا ينظرون الى « الاله » نظرهم الى احد ذوي قرباهم.

الفينيقيون

واذا انتقلنا من البحر الاحمر الى المتوسط ، وجدنا ، على شواطئه الشرقية منذ الالف الثالث الكنعانيين في فلسطين والفينيقيين في لبنان ، على تعذر وضع حد واضح بينهما. وقد نزح هؤلاء ، على رأي المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن السادس ق م) عن شواطئ البحر الاحمر. اما آلهتهم فاننا نجد وصفاً لها كافياً على الالواح التي اكتشفت في رأس شمرا اي اوغاريت القديمة[1].

ويلفت نظرنا في هذا الوصف اننا نشهد فيه « إل » لاول مرة انحدر الى درك الالهة ، على انه لا يزال يحتفظ بينهم بمركز مرموق ، وبصفات الاله الاسمى فهو « خالق الكل » « والاله العادل الحكيم » وهو « ابو البشر » واليك نصاً لا تلبث ، وانت تطالعه ، ان تذكر ما جاء في التوراة:

« في الحلم [اعلن] إل اللطيف الكريم

وخالق البرية ، في رؤيا:

ان السماوات تمطر زيتاً

والانهار تدر عسلاً »

ويجدر بالملاحظة ان اللطيف وردت في الفينيقية « ل ط ف ن » وان ليس ما يمنع تشكيلها كـ« لطفان » العربية ، وانها لا تختلف والحالة هذه عن لفظة « اللطيف » المعروفة بين الاسماء الحسنى.

لم يعد « إل » في اوغاريت الا الهاً بين آلهة. وسيتغلب عليه ابنه « بعل »، وسيترأس بعل هذا آلهة الفينيقيين ويمثلهم جميعاً ، مع عشتروت ، في نظر العبرانيين. على ان ذكر « إل » لم يمحَ فقد ورد عند فيلون البيبلوسي الذي نقل ، اذا صدق الى اليونانية كتاباً ، ضاع ، لسنكونياتون . روى فيه ان « إل » هو حفيد

---

١) كتابات راس شمرا دونت بالخط المساري وفيه خمسة وعشرون حرفاً ساكناً وثلاثة حروف صوتية (آ ، أو ، ي).

« عَلين » وخلطه مع « كرونوس » اليونان واليه نسب توحشه . الى هذا صار « إل ».

وليس ما يستخلص من درس الالواح الميثولوجية بمختلف عما يستنتج من درس الاعلام . فقد اكتشفت في مصر الواح وتماثيل سحرية ، ترقى الى الالف الثاني ، نقش عليها اسماء مدن وامراء صبّ عليهم المصريون اللعنات . وهذه الاسماء فينيقية وكنعانية ، ومنها ما ركب من لفظة « إل » او لفظة « اب » امثال « أبي رفأ » (ابي شاف) و« يرفأ – إل » (شفى إل) . والى العهد عينه ترقى اسماء لا سبيل الى الشك في انها مركبة من لفظة « اب » امثال « ابيشمو » و« ابشموابي » وهما من اسماء ملوك بيبلوس ، محفورة على زيان بشكل اسلحة موجودة في متحف بيروت . وعلى الواح راس شمرا اسماء عديدة مركبة من « إل » وفي الرسائل المتبادلة ، في العهد عينه ، بين امراء كنعان وفراعنة مصر اسماء مماثلة وقد ورد بعضها في سفر يشوع كاسماء مدن فتحها العبرانيون ، منها « يرفأ إل » و« يبني إل » (إل بنى) .

الآراميون

قبل الانتقال الى البحث عن عبادة « إل » عند العبرانيين لا بد لنا من ان نقول كلمة في الآراميين الذين كان العبرانيون يعدونهم من قرابتهم . فـ« بتو إل الارامي » هو ابن اخ لابراهيم ، ولبتر إل ابن اخ دعوه آرام – باسم القبيلة ، وآرام ابن « قمو إل » فقمو إل وبتو إل كما نرى اسمان مركبان من لفظة « إل ».

لكن الاراميين لم يتحضروا الا بعد خمسة قرون من العهد الذي نحن فيه ، اي في نهاية الالف الثاني . على انهم لم ينسوا « إل » في تحضرهم . وقد حفظوه في اسماء ملوكهم ، امثال « حزَ إل » الذي ورد في الكتاب المقدس والاثار الاشورية ، وبين آلهتهم كما تشهد بذلك الكتابات التي خلفوها واشهرها كتابة اكتشفت في السفيرة قرب حلب ، ترقى الى القرن الثامن ق م ، جاء فيها ذكر معاهدة عقدت بين امير الناحية و« متع إل » ملك اربد (شمالي حلب) ووضعت تحت حماية سلسلة من الآلهة ختمت باسمي « إل » و« علين » وكتابتان اخريان ، احدث عهداً ، اكتشفتا في سنجرلي شرقي الاسكندرية ذكر فيهما اسم « إل » بعد « هدد » اله الاراميين الاكبر .

الساميون الاقدمون والتوحيد

ظهر جلياً، مما تقدم، ان الاكاديين والاموريين والحميريين والفينيقيين والآراميين، كانوا يؤثرون اقله في عهدهم الاقدم، استعمال الاعلام المركبة من لفظة «إل» وفي ذلك دليل على ان هذه اللفظة هي من لغة الساميين الاقدمين الامر الذي يعود بنا على الاقل الى الالف الرابع. وظهر من ناحية اخرى ان هناك اعلاماً مركبة من «اب» «وعم» و«ود» اتخذت هذه الالفاظ فيها موقع اسم الاله تماشياً عن نظام اجتماعي لا يزال في طور البداوة.

ولا شك ان اول من صاغ هذه الاعلام المركبة من«إل» عنى بها «الاله المشيرة»، لان لفظة «إل» استعملت، اول ما استعملت، بصيغة «إلم» كما وردت في الاسماء الاكادية ولان «...م» الختامية ليست الا اداة التعريف في الاكادية كما هي الحال في«ه» الابتدائية في العبرانية، ه — إل: الاله، ولان فهمها بغير هذا المعنى لا يستقيم.

ففي هذه المحاولة، امامنا افتراضان: اما ان نعتبر «إلم» علماً ونعربها «الاله إلم» واما ان نعتبرها اسماً معرفاً ونعربها «الله» ودون كل من الافتراضين صعوبات. فان نحن اتجهنا الى الافتراض الاول اعترضنا عدم وجود ذكر «للاله إل» قبل عهد راس شمرا في حين ان الاعلام المركبة من «إل» اقدم منه بقرون. وهب اننا اكتشفنا لهذا الاله ذكراً قبل عهد راس شمرا، فليس في الامر نتيجة قاطعة، لان الساميين الاولين لو حاولوا ان يعبروا عن «إله المشيرة» لما وجدوا الى ذلك سبيلاً ابسط من ان يقولوا: «الاله».

وان نحن آثرنا ان نعرب لفظة «إل» في الاعلام بلفظة «الله» اعترضتنا كذلك عقبات لا سبيل الى تذليلها اليوم منها ان هذه التسمية «الله» تقتضي بما هي معنى شامل مجرّد، مقدرة على التجريد لا تتفق وما نعرفه من ذهنية الساميين الاولين. ولسنا نقصد ان ننفي عن قلبهم كل معرفة بالله، انما نعتبر ان لفظة «الله» تنطوي على مدلول عقلي لم تكن قواهم قد تهيأت لادراكه ادراكاً واضحاً، وبالتالي للتعبير عنه بلفظة شاملة.

وعندنا اذن ان الساميين الاقدمين لم يكن لهم من معرفة «الله» الا نصيب محدود. أيصح ان ننعت هذا النصيب المحدود من المعرفة بالتوحيد؟

ام ان هذه المعرفة لم تتعدّ عبادة اله القبيلة ؟ مما سبق يتضح اننا نؤثر تسمية معبود الساميين اله القبيلة ، على اننا نزيد ما لا بد منه لاستيعاب الواقع كما يبدو لنا . ذلك ان المقصود بـ« اله القبيلة » كان في حياة البدوي الاله الاوحد بمعنى انه لم يكن لغيره من الالهة – على افتراض انه عرف غيره – الا وجود اسميّ ، لا وزن له ولا اعتبار ، فلا يستبعد والحالة هذه ان يكون التوحيد النسبي الذي بلغ اليه البدوي توحيدًا حقيقيًا له عنده فعل التوحيد المطلق وان يكون « الاله » في نظره هو « الله » .

ورب قائل يقول : ألم يكن للقبيلة الا اله واحد ؟ عن هذا السؤال نجيب : ان القبيلة لم تكرّم الا الهًا واحدًا ولو كرّمت آلهة كثيرين لما اسمت احدهم « الاله » واسمت غيره « عشتر » و« هدد » لان اطلاق اسم الجنس على الفرد لا يستقيم الا اذا كان واحد جنسه ، او لكان اقتضى الامر استعمال اسم الجنس علمًا ، كما جرى ذلك في اوغاريت ، يوم تجاورت لفظة « إل » مع اسماء سائر الآلهة . ذلك ان « الاله » في اوغاريت انحط الى درجة واحد من جماعة ولم يبق اوحد وان بقي كبير اقرانه في اوغاريت سلم للاله اسمه دون مدلوله .

على ان هذه الخلاصة ، وان انطبقت على الساميين عامة ، فهي لا تنطبق على العبرانيين . فقد غدا « الاله » عندهم لا « الاله إل » بل « الله » ذلك انهم اوتوا قوة فوق قواهم مكنتهم من الصمود في وجه هجمات الشرك .

٢ – العبرانيون

دعوة ابراهيم

خذ الفصل الثاني عشر من سفر التكوين تجد الله يكلم ابرهيم للمرة الاولى ويقول له : « بك تتبارك جميع عشائر الارض » . هو يكلمه ولا يقول له من هو ، ولما كان استغنى عن هذا التعريف لو لم يكن لابرهيم به سابق معرفة . هو يكلمه ويبشره بحسن المصير ، واعدًا اياه بان نسله قد خصّ بدور حاسم في تهيئة هذا المصير . واني لابرهيم ان يصدق هذا الوعد ان لم يقف منه موقف المؤمن ، ولكنه وقف هذا الموقف وعبر عنه بقوله : « ان ساره عاقر » والله ثبته فيه واكد له قيامه بالوعد : « انظر الى السماء واحص الكواكب ان

استطعت . . . هكذا يكون نسلك» (تكوين١٥) آمن ابرهيم بكلام الله وحسب له ايمانه برّاً ، وقد لفتت اهمية هذا الحدث نظر بولس الرسول فعلّق عليه في الفصل الرابع من رسالته الى الرومانيين، وحق للمسيحيين بعده ان يروا في مواعيد الله لابرهيم بدء عهد جديد يتاح للبشرية فيه ان تبلغ الى معرفة الله معرفة تفوق قوى الطبيعة .

وفي ذلك دليل على ان كتاب العهد القديم ليس كتاب التوحيد فحسب كما الف الشراح ان يرددوا بل هو كتاب تهيئة العهد الجديد. على انه من الثابت ايضاً ان العبرانيين لولا الوحي، كانوا انصرفوا، كغيرهم من الساميين ، الى عبادة آلهة كثيرين .

قبل ابرهيم

استخلصنا من سفر التكوين ان ابرهيم كان يعرف الله قبل ما كلمه الله. وسبق لنا ان ذكرنا ان ابرهيم ، على رواية الكتاب ، هو عم «بتو إل الارامي» ونطالع فوق ذلك ، في الموضوع عينه ، تهديداً وجهه الله الى اورشليم المتمردة (سفر حزقيال ١٦ : ٤٥) جاء فيه : « ابوك اموري وامك حثية » ونحن نعلم ان الاموريين ، عهد ابرهيم ، قلّما امتازوا عن الآراميين لانهم كانوا لا يزالون جميعهم في طور البداوة ومن هنا نستدل على ان ما قلناه في معبود هؤلاء يصح في معبود اجداد ابرهيم . ولنا في سفر التكوين ادلة اخر على ذلك.

اسماء الله

اطلق الكتاب على الله اسمين: « إلهيم » و« يهوى » . الثاني منهما علم يثير وروده في سفر التكوين قبل رواية رؤيا جبل سينا قضية يتعدى درسها نطاق هذا البحث. اما الاول « إلهيم » فقد اشرنا الى انه جمع « اله » للتفخيم ، ونزيد الآن انه قد ورد في كتابات راس شمرا ، اي نحو قرنين بعد ابرهيم ، وانه هناك ، هناك على ما يظهر ، مثله في الكتاب ، ليس الا صيغة ثانية لاسم « إل » ولا شك ان العبرانيين آثروا استعمال لفظة « إلهيم » دلالة على جلال الاله الذي تجلى لهم . على انهم لم يعرضوا عن تسميته بالاسم القديم « هَ — إل » (الاله) كما جاء في احد نصوص سفر التكوين (٤٦ : ٣) . ففي هذا النص نرى الله يخاطب يعقوب ، وقد خرج الى مصر ملتحقاً بابنه يوسف ، قائلاً: « انا هو الاله (هَ — إل) اله ابيك » . ولا شك ان القارىء لحظ الشبه البيّن بين هذا التعبير

والتعابير التي مرَّ الكلام عليها في الكتابات الكبادوقية . فقد جاء في هـذه الاخيرة: «ليشهد بذلك الاله اشور واله ابيك» ووردت فيها ايضاً لفظة «الاله».

هذا نوع من التعريف وهناك نوع آخر هو التعريف بالصفات، فكثيراً ما ورد اسم « إل » منعوتاً بـ« شَدَّي » و« عَلْيَن» (الاله العلي) وورد مرة مضافاً الى « عالم » (اله الدهر). لم يتضح بعد معنى لفظة « شدي » على ان المترجمين اليونانيين قد فهموها ، في القرون الاخيرة قبل المسيح ، بمعنى « الضابط الكل » وهو معنى لا يتنافى والاصل الذي يميل المحدثون الى ردها اليه. وفي ظن هؤلاء ان « شَدَّي » اما ان تشتق من « ش دد » بمعنى القوة والصخرة ومنه في العربية « شديد » واما ان تشتق من « ش دو » في الاكادية بمعنى الجبل . ومهما يكن من امر المعنى ، فان هذا التعبير « إل شَدَّي » لما امتاز باستعماله عهد ابرهيم (خروج ٦).

اما « إل عَلْيَن» فقد وردت في رواية ظفر ابرهيم يوم باركه ملكيصادق (تكوين ١٤) وقد سبق لنا ان قابلنا هذا التعبير « إل تَعلي » الذي ورد عند عرب الجنوب ، ونلحظ الان ان ملكيصادق وهو ملك «شليم» (اي اورشليم ؟) وكاهن « إل عَلْيَن» قد اتفق وابرهيم في دعوة «إل عَلْيَن» (الاله العلي) وفي وصفه «بخالق السماء والارض » من هنا يستدل على ان «عَلْيَن» ان هي الا صفة «إل». على ان هذه الصفة ستجري مجرى الموصوف ، وقد شهدناها في كتابة السفيره مستعملة للدلالة على اله غير « إل» جرياً على ما هو معروف من تشخيص الصفات، كما شهدناها عند فيلون البيبلوسي مستعملة للدلالة على كبير الالهة الذي غدا «إل» حفيداً له.

ومما تقدم يتضح ان ملكيصادق ، وهو غير عبراني ، انما كان يكرم الاله عينه الذي يكرمه ابرهيم ، الامر الذي لم يستغربه قط واضع الرواية التي جرى الكلام عليها والتي تعد بحق من اقدم الروايات في التوراة . وعندنا ان ملكيصادق ان هو الا احد هؤلاء الساميين الاقدمين الذين اثبتنا انه لم يكن لهم الا معبود واحد . وربما كان ملكيصادق هذا من الاموريين الذين اشار سفر التكوين الى وجودهم في فلسطين عندما ذكر ان ابرهيم كان يلذ له ان ينصب خباءه في ظل « بلوطات ممرا الاموري » (تكوين ١٤ ، ١٨) ، والذين كانوا ، عهد موسى ، نازلين في الجبال.

الشرك

نحن نسلم ان هؤلاء الاموريين كانوا بجملهم يعبدون آلهة كثيرين، ومع ذلك فاننا نعتقد انه قد قام بينهم بعض المختارين الذين لم يفتهم ان «الاله العلي» هو غير ذلك الخليط من الالهة المكرّمة في فلسطين، ونعتقد كذلك ان ابرهيم لم ينس اله جدوده، اله نوح وابنه سام، وان ذكر «اله سام» لم يمّح (تكوين ٩: ٢٧) حتى ولو اعتبرنا السلسلة المذكورة في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين مختصرة وسلمنا بان بين سام وابرهيم اكثر من ثمانية اجيال. لكن هذا الرأي لا يتنافى مع شيوع الشرك بين الساميين بمقدار خروجهم من طور البداوة، وعامة جدود ابرهيم انفسهم لم يسلموا من هذا الشرك، كما ينوه بذلك واضع سفر يشوع: «آباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابرهيم وابو ناحور عبدوا آلهة اخرى» (يشوع ٢٤)

وسنشهد طغيان الشرك هذا في الجزيرة قبيل ظهور الاسلام اي نحواً من الفي سنة بعد ابرهيم.

٣ — العرب قبل الاسلام

بقي علينا، تكميلاً لبحثنا عن آثار التوحيد عند الساميين، ان نقول كلمة عن العرب. على اننا في هذا القسم لن نتوقف على دين المتحضرين، مهما سما عند بعضهم، لاعتبارنا ان هذا التطور انما مرجعه تأثيرات دخيلة — يونانية كانت ام يهودية ام مسيحية — وانه لا يمثل البدو الصرف، ولاعتبارنا ان تحليل هذا التطور انما يتطلب بحثاً في مخلفات هذا العهد الاثرية والادبية لم ننصرف اليه بعد. وعليه فاننا نحصر بحثنا في القبائل العربية اثناء القرون الاولى للمسيحية، مضيفين اليه كلمة عن تدمر التي لم تكن بمعزل عن تأثير العرب.

بنو ثمود

لم تسلم الشعوب السامية القديمة من الشرك، ولا العرب سلموا قبل الاسلام. من هؤلاء العرب، ذكر القرآن قبيلة ثمود التي ابادها الله، وذكرت السنة اللحيانيين الذين خضعوا لمحمد. وقد نزل الثموديون واللحيانيون في شمالي الحجاز كما نزلت قبائل اخرى من السلالة عينها في ناحية الصفا وما حولها. وقد

اكتشفت في المنطقة الواقعة بين دمشق ومدائن صالح والعلى كتابات كثيرة محفورة على الحجارة، خلفتها هذه القبائل. وقد دونت هذه الكتابات بخط عرب الجنوب المعروف بالمسند، مع ان لغتها هي احدى لهجات عرب الشمال (التي تستعمل ه محل الف للتعريف).

وتنبئنا هذه الكتابات بان العرب عبدوا، بين من عبدوا، «رضى» (الزهرة) و«شمس» و«إلات» الهتهم الكبرى، التي ذكرها هيرودوت باسم «أَلِلَت» (الالهة)، وعبدوا ايضاً - وان قلّ ذكره - «اله» فهم يدعونه دعاء مجرداً: «هـ ل هـ ي = هـ - اله» او مشفوعاً بطلبة، من نحو ما نقرأه في الكتابة التالية:

«ل ا ن ع م - ب ن - س ع د - ب ن - ا د ع ج ة - و هـ ل هـ - س ل م «
» و ر ض ى ـَ ع و ر - ذ - ي ع و ر - هـ س ف ر - «

لا نعم بن سعد بن ادعجة، ويا اله سلام.

ويا رضى عُر من يعور السفر».

وتطلعنا الكتابات عينها على بعض اعلامهم. فمنهم ما ينتهي باله من نحو «وهب اله» (اله اعطى) ومنها ما ينتهي بإل من نحو «وهب إل» وهي اكثر عدداً. ولا اثر في هذه الكتابات، اقله التي اكتشف في شرقي الاردن، لاعلام تنتهي بغير ذلك من اسماء الالهة، مما يدل على ان كاتبها لم يعرف جدودهم الهاً غير «الاله» معبود سائر الساميين البدو.

الانباط والتدمريون

الانباط عشائر اخذت تتحضر حوالى ظهور المسيحية، وكانوا يؤمنون نقل البضائع من الشرق، وكان لهم في البتراء ومدائن صالح منازل وقبور فخمة. وكثيرة بين اعلامهم الاسماء التي تنتهي بإل و«اله»، ولا اثر في كتاباتهم لـ«إله» في غير الاعلام، ذلك ان غناهم قد انساهم ولا شك اله الاجداد.

اما التدمريون، وان كانوا من اصل ارامي، فبينهم وبين الانباط شبه. من ذلك ان عنصرهم الارامي لم يبقَ صافياً، بل تغلغل بينهم العرب بكثرة، ومن ذلك انهم، بعد سقوط بلاد الانباط في يد الرومان، عام ١٠٦ للمسيح،

خلفوهم في تأمين المواصلات التجارية بين الشرق والغرب ، ومن ذلك كذلك ان كتاباتهم آرامية – وكتابات الانباط آرامية – ومن ذلك اخيرًا في موضوع بحثنا ان «الالهة» قضت عندهم على ذكر «إله» في العبادات والتذكارات. ولولا اعلامهم المنتهية بإل وإله ، لظننا ان التدمريين الاقدمين كان يجهلون اله البدو.

على ان في تدمر ، عدا ذلك ، اثرًا لنهضة توحيدية لا يسعنا اغفالها. ذلك ان الاثريين كشفوا نحوًا من مائة مذبح نقش عليها بالآرامية: «للمبارك اسمه الى الابد الصالح الرحيم» وعلى بعضها ، الى جانب الكتابة الآرامية ، كتابة يونانية دُعي فيها المعبود غير المسمى بالآرامية «زفس هفستس» (زفس العلي) وزيد على البعض الآخر ان صاحب التقدمة «دعا للاله فاستجابه» وورد مرة هذا النص الاخير بصورة غريبة: «دعاه في الضيق فاستجابه في الرحب».

وقد لحظ القارىء ما يلفت النظر في هذه الكتابات ، سواء اكان في عدم ذكر اسم للمعبود ام في تسميته زفس باليونانية ام في ورود عين الدعاء والاستجابة عند الفينيقيين ام خاصة في الشبه البين القائم بين الآيتين المذكورتين وبعض نصوص المزامير (راجع خاصة مزمور ١١٧–١١٨) عدد ٥ ومزمور ٧١ الخاتمة). وقد ادّى الامر ببعضهم الى نسبة هذا الاتجاه الى تأثير اليهود النازلين واحة تدمر.

على اننا لا نرى داعياً كافياً لهذا الرأي. ومع اعترافنا بالتأثير اليهودي واليوناني الذي قد يكون اوحى الآيات التي لحظنا تشابهاً بينها وبين المزامير ، والذي قد يكون اوحى التسمية اليونانية للاله غير المسمى – مع العلم بان لفظة «زفس» هنا لا تعني غير ما تعنيه لفظة اله – فاننا نؤثر ان ننسب هذه النهضة التوحيدية التي نكاد ننعتها بانها تجهل ذاتها الى يقظة الشعور السامي القديم بوحدانية الاله وتساميه ، تحت تأثير عوامل دخيلة.

وليس ما مررنا به في تدمر من تكريم معبود لا اسم له هو المثل الاوحد بل هناك امثلة عديدة نقتصر على ذكر بعضها.

منها عند الانباط ، ذكر «رب البيت» و«اله فلان» و«ذو شارى» (لعل المقصود صاحب شارى في ناحية البتراء) ، وفي الاثار العربية عامة ذكر «الرحيم»

الذي كرمته قبائل سبأ باسم «رحمن» وقبائل الصفا باسم «الرحيم» والتدمريون باسم «الرحيم» ايضاً ولكن الى جانب «شمس» و«اللات» من آلهة العرب، والذي حفظ ذكره البابليون بنعتهم آلهتم بـ«ريمنو» (الرحيم).

ومنها، عند الآراميين تكريم «عليَن» (العلي) وعند عرب الجنوب تكريم «إل تعلي» (راجع ما قيل في ملكيصادق وفي الحميريين).

ومنها ايضاً، عند الفينيقيين، تكريم «بعلشميم» (رب السماوات اي الله متعالٍ) الذي كرمه التدمريون والانباط وقبائل الصفا باسم «بعلشمين» والذي انمحى اثر عبادته في تدمر عند ظهور عبادة الاله غير المسمى (في بدء القرن الثاني للمسيح) وان احتفظ هذا الاخير بصفات الاول (كلاهما رب الكون، وعلي، ورحمن).

لدى النظر في هذه الوقائع، رأى العلماء بحق في عبادة الاله المجهول او غير المسمى مظهراً ارقى لعبادة «رب السماوات». ولكن الا يصح ان نرى فيها ايضاً مظهراً من مظاهر التوحيد؟ عندنا ان الوقائع المذكورة اذا اضفنا اليها ما اكتشف اخيراً تمكن من الجواب عن هذا السؤال بالايجاب، اقله في بعض الحالات اجل ليس بالمسكن ان نعد من الموحدين اناساً دعوا الى جانب الاله المجهول غيره من الالهة، ولكن هناك اناساً اخرين — وان قلائل — وصفوه بما لا ينطبق من الصفات الا على الله، منهم ملكو بن برعا رئيس مجلس شيوخ تدمر الذي اقام مذبحاً «للاله الواحد الاحد الرحيم».

عرب الحجاز

هل سلم لعرب الحجاز حتى ظهور الاسلام نصيب من توحيد الاقدمين؟ ان العرب، في الحجاز، ظلوا من هذا القبيل على ما كانت عليه قبائل ثمود والصفا، قبل العهد الذي نحن فيه بقرنين. ولم يكن قرشيو مكة قد نسوا ذكر الله ولا عبادته، يوم دعاهم النبي الى نبذ الشرك. وهو في دعوته هذه يذكرهم بانهم يعترفون بان الله خالق السماوات والارض:

«ولئن سألتهم: من خلق السماوات والارض، ليقولنَّ الله.

«ولئن سألتهم: من نزّل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها، ليقولنَّ الله...

« فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » (سورة العنكبوت ٦١ — ٦٥).

« ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك . . وما قدروا الله حق قدره » (سورة الزمر ٦٤ — ٦٦).

اجل لقد اشرك المكيون وما قدروا الله قدره يوم عبدوا « اللات » و« مناة » و« العزى » وسموا هذه الاصنام « بنات الله » وحطوا الله الى دركها . ولكنهم لم ينسوا كل النسيان ان من يسمونه « الله » انما هو الله حقاً ، فهم « يخلصون له الدين » احياناً ، والى هذه البقية الباقية من الاخلاص في الدين استند النبي ليحملهم على الاعتراف بقدر الله .

وهو لم يأتِ بالجديد في كل ما دعا اليه ، فقد « اوحي اليه والى الذين من قبله » وقد اقتبس كثيراً من الصفات التي ينسبها الى الله عن دين الساميين فالله الذي يدعو اليه ، هو ، كإله الساميين ، « رب البيت » وهو « العلي » و« المتعالي » وهو « السميع المجيب » وهو « الرحمن الرحيم » وهو « ودود » (وقديماً عند عرب الجنوب ، « ود » كما سبق) ، على ان هذه الصفات على لسان النبي المشيد « بقدر الله » رنة اقوى من رنة كانت لها ضائعة في جلبة الآلهة ، قبله . ولمزاج النبي فعله في الامر ، كما ان اليهودية والمسيحية فعلها فيه كذلك والامر بيّن من القرآن عينه . الا ترى ، مثلاً ، اي مقام كان عند النبي لابرهيم ؟ فابرهيم ، في نظره ، « دعا الله ليجنبه وذويه عبادة الاصنام . . واسكن من ذريته عند بيته المحرم » (سورة ابرهيم ٣٤ ، ٣٦) وابرهيم ابو العرب ، ولد اسمعيل ؛ جهاد ابرهيم جهاد محمد ، اليه ينسب مواقفه واقواله تجاه الكافرين : « قال (ابرهيم) : ياقوم اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفاً وما انا من المشركين . وحاجه قومه . قال اتحجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به » (سورة الانعام : ٧٧ — ٧٩) « واتلُ عليهم نبأ ابرهيم ؛ اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون . او ينفعونكم او يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدوٌ لي الّا رب العالمين . . »

(سورة الشعراء : ٦٨ — ٧٧) كذا قال ابرهيم وهاك ما قاله محمد : « واعتزلكم وما تدعون من الله . . . » (سورة مريم ٤٧) .

جاهد ابرهيم لله ، وله جاهد محمد ، وكما احسن الله الى ابرهيم كذلك احسن الى خلقه : « فانهم عدوّ لي (الكلام لابرهيم) الا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهديني ، والذي هو يطعمني ويسقيني ، واذا مرضت فهو يشفيني والذي يميتني ثم يحييني والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين . . . » (سورة الشعراء ٧٦ — ٨٢) « والضحى ، والليل اذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الاولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالّاً فهدى ، . . . » (سورة الضحى ١ — ٧) .

من هذا وغيره يتضح لك ان محمداً تمثل بابرهيم ، وانه وقف موقفه امام الكافرين . وفي الواقع ان كان الشرك اثم العرب الاكبر ، فقد رأينا انهم لم يكونوا وحدهم بين الساميين من الآثمين .

خلاصة

اشرنا ، اثناء البحث ، الى النتائج التي فرضتها الوقائع ، وحسبنا الآن ان نجملها بكلمة :

— ان ذكر الاله الجدود الواحد لم يمّح ، برغم شيوع الشرك بين الساميين .

— ان محمداً في تسديده الى الشرك الضربة التي قضت عليه عند الساميين ، تمثل بابرهيم . ولا يزال ابرهيم ، في نظر التاريخ ، اول من وقف في وجه تيار الشرك الجارف .

— اما المؤمنون فيعرفون حق المعرفة ان هذا التصعيد على سبيل الله لم يبلغ بالبشر الى خالقهم وديانهم فحسب ، بل رقي بهم الى ما هو ابعد واسمى لان ابناء ابرهيم بالوعد ، انما « ابناء الله يدعون »[1] .

---

١) ان مصادر البحث اوفر من ان تفصل . وفي ذكر اسماء بعض العلماء كفاية . بوسع القارئ ان يرجع الى تآليف Lagrange, Deimel, Dhorme, Noth , J.Lewy, Dussaud, Ryckmans , Littman , Seyrig.

قدّاس مار يعقوب الرسول

وقدّاس فم الذهب

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

قرّر مشاهير علماء الليترجيّات ان قدّاس مار يعقوب الرسول السرياني هو باكورة كل القداديس البيعيّة على الاطلاق . وحسبنا تأييدًا لتقريرهم ما اثبته العلّامة الكبير مار اسطفانس الدويهي البطريرك الانطاكي (١٦٧٠ — ١٧٠٤) في كتابه « منارة الاقداس » الثمين قال :

« تسلّمنا ان القدّاس الاول صار يوم الاربعاء الذي بعد احد حلول الروح القدس... وانّ يعقوب اخا الربّ رئيس كهنة بيت المقدس بوحي مختص من الرب خدمَ (ܫܡܫ استعمل) القدّاس الاول في علّية صهيون . وانه على شبه ما أوحي اليه من العلاء صنف النافور الذي بدؤه ܐܠܗܐ ܘܡܪܐ ܕܟܠ يا اله الكلّ . وهو الموجود الآن عندنا .

« وعلى شبه نافور مار يعقوب ترتّبت بقيّة النوافير السريانية . والآباء المتقدمون نقلوه من اللغة السريانية الى اليونانية . وذكره المجمع السادس الذي انعقد في القسطنطينية (عام ٦٨٠) . وفي ابتدائه نجد هكذا مكتوبًا في كتاب النوافير الذي نسخه البطريرك ميخائيل ابن الرزّ (١٥٦٧ — ١٥٨١) سنة ١٥٥٩ والذي نسخه اخوه البطريرك سركيس (١٥٨١ — ١٥٩٦) سنة ١٥٦٦ الرب وهذا عنوانه معربًا :

«نافور القدّيس يعقوب الذي يُدعى اخا الربّ . . وهو باكورة القداديس برمتها . ويجب ان يُقرّب هذا القدّاس في جميع الاعياد السيديّة»[1]

على انّا لا نتوخى في هذه العجالة التبسط في ايراد الحجج المؤيدة هذا التقرير العامّ الشامل . انما تحرّينا معارضة قدّاس فم الذهب بقدّاس مار يعقوب كي يتجلّى للمتعمّقين في البحث عن الليترجيّات ان فم الذهب استقى

١) منارة الاقداس : جزء ٢ شرح ٣ فصل ٢ صفحة ١٤٧–١٤٨ .

مصادر قداسه من قداس مار يعقوب لا من غيره . ومن المعلوم ان كنيسة قسطنطينية أخذت منذ اواخر القرن الرابع تستعمل ليترجية فم الذهب وعنها نقلتها كنيسة انطاكية الملكية في سلخ القرن الثاني عشر. وقضت الكنيستان معاً ان يتم استعمالها في كل الكنائس على مدار السنة سوى عشرة ايام خصصتاها بقداس مار باسيليوس الكبير اسقف قيسارية(٣٣٠-٣٧٩) وهي: آحاد الصوم الخمسة وخميس الاسرار وسبت النور وليلة عيد الميلاد وعيد الدنح وعيد مار باسيليوس . ويشاهد هذا التقيد مدوناً في مقدمة هذا القداس وعليه جرت العادة عند الروم واليونان الى الآن .

وقد صرح السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩-١٨٩٠) احد أيمة البيعة السريانية الكاثوليكية بان قداس فم الذهب يستحق كل اعتبار واحترام لا لقدمه ورواج استعماله فحسب بل لانه — فيما رجح — كان قداس الكنيسة الانطاكية وقد نقله معه من انطاكية وطنه الى قسطنطينية كرسي اسقفيته (٣٤٤-٤٠٧) وحوره بعض التحوير ثم أطلق عليه اسمه[1]

وبناء على ما رجحه هذا العلامة نقول: ان من يعارض قداس فم الذهب اليوناني بقداس مار يعقوب السرياني لا يشك في هذا الترجيح اصلاً . ذلك ما حدانا على التوسع في هذا الموضوع الخطير وعرضه على قراء مجلة المشرق الغراء. فننقل بالحرف الواحد نصوص ليترجية فم الذهب عن نسخة خطية عربية هي اليوم في حوزتنا ويرتقي عهد نساختها الى القرن السابع عشر ونضعها بازاء ترجمة نصوص قداس مار يعقوب السرياني . ونشير الى ارقام اوراق النسخة العربية ورقة ورقة . ذلك كله ليتضح للقراء عامة والمتبحرين في درس الليترجيات خاصة مقام ليترجية مار يعقوب وتفوقها على سائر الليترجيات الكنسية .

وقد سبق البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المثلث الرحمات(١٨٩٨-١٩٢٩) فمارض (صفحة ١٧٣) من كتابه « الليترجيات الشرقية والغربية » ليترجية

---

١) القصارى ٤٩و٥٧ و«الملكيون: بطريركيتهم الانطاكية ولتتهم الوطنية والطقسية» (المشرق ٣٤: ١٩٣٦ : ٥١٦).

الاسكندرية بليترجية مار يعقوب . ثم عارض بها (ص٢٦٠) ليترجية المراسيم الرسولية وليترجية مار باسيليوس . وعارض كذلك ليترجية أدي رسول الرها وماري (ص٤٢٣) بليترجية مار بطرس المارونية ، وليترجية فم الذهب (ص٤٧٨) بليترجية الرسل الخ . ولكنه لم يتصدَّ البتة لمعارضة ليترجية فم الذهب بليترجية مار يعقوب التي نحكي عنها .

ولا حاجة الى التصريح بان الملكيين الخاضعين للبطريركية الانطاكية ظلوا يستعملون قداس مار يعقوب السرياني حتى القرن الثاني عشر . ولمَّا تولى الكرسي الانطاكي البطريرك تئودورس بلسمون اليوناني (١١٨٥-١١٩٥ ؟) أصدر الامر الى جميع الاساقفة والكهنة المنتمين الى بطريركيته بان يعدلوا عن استعمال قداس مار يعقوب ويقتصروا على قداس فم الذهب بالسريانية لا غير، محتجاً بان كنائس العالم طرًّا يلزمها ان تتبع قداس قسطنطينية . وقد استسهل الملكيون الاستغناء عن قداس مار يعقوب واكتفوا بقداس فم الذهب خصوصاً لكونه موافقاً لذلك القداس الاولي . ومع تراخي الزمان نقلوا نصه السرياني في القرن السادس عشر او ما بعده الى اللغة العربية مستعينين بنصه اليوناني الاصلي . وابقوا النصوص الجوهرية تارةً بالسريانية وطوراً باليونانية . ثم جعلوا يستعملون القداس كله بالعربية اللهم الَّا بعض عبارات ينادون بها باليونانية .

هذا وفي معارضتنا كلا القداسين اقتصرنا على الصلوات الجوهرية لكونها أصل القداس ودعامته . وكنَّا نود لو اتيح لنا ان نثبت النصوص السريانية بحرفها الواحد الَّا اننا اكتفينا بنقلها الى العربية نقلاً مدققاً سهلاً واضحاً :

قدّاس مار يعقوب	قدّاس لم الذهب
صلاة وضع اليد	افشين الموعوظين (ورقة ٤٦)
يا من هو وحده الربّ الرحيم الساكن في الاعالي والناظر المطمئنات . ارسل بركاتك الى الذين احنوا اعناقهم امام مذبحك المقدس . . . يا مَن ارسلتَ ابنك الى العالم لبرّد المخروف الضالّ . . . (١	ايها الربّ الاهنا الساكن في العلا الناظر المتطامنات . يا مَن ارسلت ابنك الوحيد ربّنا والاهنا يسوع المسيح لخلاص جنس البشر . انظر الى عبيدك الموعوظين الذين احنوا لك اعناقهم . . .

يشاهد القارى. ذكر « الموعوظين » في قدّاس لم الذهب ولا يشاهده في قدّاس مار يعقوب وهو ممّا يدعو الى الانحاء باللائمة على آباء السريان المتأخرين الذين حذفوا اعتباطاً ذكر الموعوظين من قداسهم . مع ان شرّاح القداس الاقدمين ذكروهم ذكراً جليّاً صريحاً مثل اقليميس الروماني وديونيسيوس الاريوفاغي . وقد ذكرهم كذلك مار افرام غير مرة بقوله: « ܐ̈ܙܠܘ ܒܫܠܡܐ ܫܡ̈ܘܥܐ ܐܡܪܐ ܥܕܬܐ انطلقوا بسلام ايها السامعون تقول الكنيسة » . وقوله: « ܘܠܐ ܢܣܒ ܒܗ ܪܘܫܡܐ ܢܐܙܠ مَن لم يأخذ رسم العماد فلينطلق » . وذكرهم كذلك مار ربولا اسقف الرها (٤١٢—٤٣٥) ومار اسحق (٤٦٠✝) ومار يعقوب السروجي (٥٢١✝) وغيرهم من الائمة . وحتموا باخراجهم من الكنيسة قبل المباشرة بصلوات القداس الجوهرية .

وكتب يعقوب الرهاوي (٧٠٨✝) في رسالته الى القس توما يقول ما تعريبه : « بعد ما يتلو الكاهن صلاةً على السامعين وصلاةً ثانيةً على الممسوسين وصلاةً ثالثةً على التائبين يدنون منه صفوفاً صفوفاً ويمرّون تحت يده فيباركهم ويُطلقهم ظاهر الكنيسة . ثم ينادي الشماس « أغلقوا الابواب » . ففي قوله « يمرّون تحت يده فيباركهم » اشارة واضحة الى عنوان الصلاة وهو « وضع اليد » كما اثبت نصّ القداس . وقس على يعقوب الرهاوي جميع شرّاح القداس من لعازر برسبتا مطران بغداد الى يوحنا مطران دارا في القرن التاسع الى موسى بركيفا (٩٠٣✝) الى ابن الصليبي (١١٧١✝) الى يعقوب البرطلي

١) ان المفريان ابن العبري في اختصاره قداس مار يعقوب قد ضبط النصّ السريانيّ مقدّماً ومؤخراً كما عرّبناه .

(†١٢٤١) الى المفريان ابن العبري (†١٢٨٦) وغيرهم . فهولاء جميعاً قد أسهبوا في ذكر تسريح الموعوظين من الكنيسة قبل المباشرة بصلاة القداس الجوهرية . ومن ثم لا حرج علينا اذا صرّحنا بان السريان بحذفهم الكلمات المشيرة الى اطلاق الموعوظين قد قضوا على اقدم تقليد في الكنيسة المسيحية وخالفوا في ذلك جميع الكنائس النصرانية كالكنيسة الرومانية والمارونية والكلدانية والملكية واليونانية والقبطية والحبشية وسائر الكنائس الغربية والشرقية معاً .

قدّاس مار يعقوب

صلاة المدخل[1]

اجما الرب الاله الضابط الكل القدّوس القابل ذبيحة التسبيح من الذين يدعونك من كل قلبهم . اقبل من ايدينا نحن الخطاة عبيدك هذه البخورات وقدّمنا الى مذبحك المقدّس . وقوّنا لنقدّم لك قرابين وذبائح روحانية من اجل خطايانا ومن اجل جهالات شعبك . واجعلنا مستحقين لتكون ذبيحتنا مقبولة لديك . وليحلّ روحك الصالح علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة وعلى شعبك المؤمن كافة . . .

الكاهن يقول :

محبّة الله الآب . ونعمة الابن الوحيد وشركة وحلول الروح القدس مع جميعكم .

قداس فم الذهب

يتلو الكاهن سرّاً بعد وضعه الاسرار الالهية على المايدة هذه الصلاة (ورقة ٥١) :

اجما الاله الضابط الكلّ الواحد القدّوس القابل ذبيحة التسبيح من الذين يدعونك من كل قلوبهم . اقبل منا نحن الخطاة طلباتنا . وقدّمها الى مذبحك المقدّس . وأهّلنا أن نقدّم لك قرابين وذبايح روحانية من اجل خطايانا وجهالات شعبك . واجعلنا مستحقين ان نجد نعمةً امامك لتكون ذبيحتنا مقبولةً . وأسبغ علينا نعمة روحك الصالح وعلى هذه القرابين الموضوعة وعلى كافّة شعبك .

الكاهن يعلن (ورقة ٥٢)

نعمة ربنا يسوع المسيح . ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس مع جميعكم .

هذه التحية الكتابية الجوهرية هي فاتحة القدّاس . وقد نُقلت عن رسالة مار بولس الثانية الى اهل قورنثية (١٣:١٣) ونصّها : « نعمة ربنا يسوع

١) قال ابن العبري في كتاب الهدى (٤:٧) « أُلغيت عادة تسريح الموعوظين وعُوّض عنها بصلاة المدخل » . وهذه الصلاة يتلوها الكاهن السرياني في يومنا قبل قانون الايمان وبعد ترتيل الانجيل .

المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم اجمعين » . فالملكيون اضافوا لفظ « الآب » فقط الى لفظ « الله » عزّ وجلّ . اما السريان فسبقوا عبارة « محبة الله الآب » كما ترى على عبارة « ونعمة الابن الوحيد » وحذفوا عبارة « ربنا يسوع المسيح » واضافوا اليها لفظ ܡܫܪܝܢܘܬܐ حلول. حتى اصبحت كما اثبتناها اعلاه . فلفظ « حلول » حشوٌ لا اثر له في آية مار بولس . اما النصّ السريانيّ في رسالة مار بولس فهذا تعريبه : « سلام ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ».

مار يعقوب

يرفع الكاهن يديه الى فوق ويقول:
فلتكن عقول واذهان وقلوب كلّنا فوق.

ويردف الكاهن:
فلنشكر الربّ بالمخافة .

فم الذهب

الكاهن يُعلن :
فلنضع قلوبنا وعقولنا فوق شاكرين للرب .

ذكر فم الذهب في مقالته التاسعة في التوبة : ان الكاهن يدعو المؤمنين ليرفعوا « عقولهم وقلوبهم » الى فوق . وهكذا وردت هذه العبارة الجوهرية في قداسه. امّا السريان كيعقوب الرهاويّ وابن العبري في كتاب الهدى(٤ : ٧) فقد قرّرا الاقتصار على هذه العبارة فقط وهي: « ܠܥܠ ܢܗܘܘܢ ܗܘܢܝܟܘܢ فلتكن عقولكم فوق » . ومع كرور الزمان اضاف اليها السريان المتأخرون كلمات اخرى حتى اصبحت هكذا : « فلتكن فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله الآب عقول واذهان وقلوب جميعنا في هذه الساعة » . ثم اضافوا كذلك لفظ « بمخافة » الى عبارة « فلنشكر الربّ » . ويا ليت السريان تركوا القديم على قدمه واقتصروا على عبارة « فلتكن عقولكم فوق » وعلى عبارة « فلنشكر الربّ » طبقًا لقداس فم الذهب !

صلاة الاوخارستيا (سرًا)

حقيقةً يستحق ويُفرَض ويليق ويجب : لك نسبّح . لك نبارك . لك نمدح . لك نسجد. لك نشكر يا خالق كل البريّة . . . يا مَن خلقتَ الانسان من الارض . . .

الكاهن يقول هذا الافشين سرًّا

(ورقة ٥٢)

باستحقاق وعدل لك نسبّح ونبارك ونمجّد ونشكر ونسجد في كل مكان لسيادتك . لانك انت هو الاله الغير موصوف . . .

ولمّا خالف وصيتك وسقط لم ترفضه ولم تتركه ايها الصالح . . .

الكاهن يُعلن :

رؤساء الملائكة . الكاروبيون السارافيون وذوات الاجنحة الستة . . . يطيرون . . . مرتلين تسبيح الظفر للبهاء المعظم المجيد . بصوت رخيم . هاتفين وصارخين وقائلين : قدّوس .

الكاهن يقول سرًّا :

في الحقيقة انك قدّوس . . . وواهب القداسة . قدّوس وابنك الوحيد . قدّوس وروحك القدّوس . . . انك قدّوس . ضابط الكل . قادر على الكلّ . رهيبٌ عطوفٌ خصوصاً على جبلّتك . . . واخيرًا ارسلت ابنك الوحيد الى العالم . . .

مار يعقوب

الكاهن يعلن الكلام الجوهريّ :

. . . في تلك الليلة التي أُسلم فيها من اجل حياة العالم . أخذ خبزًا على يديه الطاهرتين المقدستين اللتين لا عيبٌ فيها ولا دنس . . . شكر وبارك وقدّس وكسر . وأعطى لاميذه الرسل القديسين قائلًا :

خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر من اجلكم . . . لمغفرة الخطايا . . .

ومثل ذلك الكاس بعدما تعشّوا . . . قائلًا : خذوا اشربوا منه كلكم . هذا هو دمي العهد الجديد الذي يُهرَاق عن كثيرين ويُعطى لمغفرة الخطايا . . .

انت الذي اخرجتنا من العدم الى الوجود . ولمّا سقطنا اقمتنا ايضاً ولم ترفض خليقتك بالكلية . . .

رؤساء الملائكة . الشاروبيم والسارافيم وذوات الستة اجنحة الكثيرين الاعين مرفرفين طائرين .

(ورقة ٥٣)

والكاهن يُعلن :

مرتلين تسبيحاً على الظفر . وهاتفين وصارخين وقائلين :

والكاهن يقول هذا الانفشين سرًّا :

مع هولاء القوات الطوبانيين ونحن ايها السيّد المحبّ البشر نهتف ونقول : قدّوس انت وكلّي القدس انت وابنك الوحيد وروحك القدوس . قدّوس انت وجامع القدس . وعظيم جاه مجدك . لانك احببتَ عالمكَ هذا اذ اوهبتهم ابنك الوحيد .

ثم الذهب

الكاهن يقول سرًّا :

في تلك الليلة التي أُسلم فيها ذاته من اجل حياة العالم . اخذ خبزًا بيديه المقدستين الطاهرتين اللتين لا عيباً فيهما . فشكر وبارك وقدّس وكسر . واعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلًا :

الكاهن يعلن :

خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر من اجلكم لمغفرة خطاياكم . (ورقة ٥٤)

الكاهن يقول سرًّا :

ومثل ذلك من الكاس بعد العشاء قائلًا : اشربوا من هذا كلكم . هذا هو دمي العهد الجديد الذي يُهرَق عن كثيرين من اجل مغفرة خطاياكم .

يلاحظ القارئ النجيب اتفاق قدّاس مار يعقوب وفم الذهب في هذه العبارات الجوهرية المنقولة عن رسالة مار بولس الاولى الى اهل قرنثية وعن انجيل متى الرسول وهذا نصها الحرفي معرباً :

« في الليلة التي أُسلم فيها (١ قور ١١ : ٢٣) اخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي (متى ٢٦ : ٢٦) الذي يُكسر لاجلكم (١ قور ١١ : ٢٤) . وكذلك ... من بعد ما تعشّوا (١ قور ١١ : ٢٥) أخذ الكاس وشكر واعطاهم وقال : خذوا اشربوا من هذا كلكم . هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهرَاق عن كثيرين لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٧–٢٨) .

مار يعقوب	فم الذهب (ورقة ٥٤)
الكاهن يعلن :	افشين سرّ :
واذ نذكر يا ربّ موتك وقيامتك في اليوم الثالث من القبر . وصعودك الى السماء . وجلوسك عن يمين الله الآب ... ومجيئك الثاني المجيد ...	ونحن ذاكرون لوصية المخلّص وجميع الكائنات به من اجلنا . الصلب والقبر والقيامة في اليوم الثالث . والصعود الى السماوات والجلوس عن اليمين والمجيء الثاني بالمجد ايضاً .
الكاهن يعلن :	الكاهن يعلن :
ونحن كذلك يا ربّي اذ نتقبّل نعمتك نشكرك على الكلّ ومن اجل الكلّ .	من الذي لك نقدّم لك على كل شيء ومن جهة كل شيء .

أُشكل فهم هذه العبارة على مَن نقلها عن اليونانية الى العربية . فاثبتها فريق كما اوردناها في المتن وعرّبها فريق هكذا : « التي لك مما لك نقدّمها لك على كلّ شيء ومن جهة كلّ شيء » واثبتها فريق هكذا : « فالتي لك من التي لك نقدّم لك عن كل شيء ومن اجل كل شيء » . وترجح نحن ان فم الذهب نقل هذه العبارة عن قدّاس مار يعقوب كما نقل او لخص سائر الصلوات التي نبحث عنها . وقد يُتاح لنا ان نشرحها هكذا : « اننا نشكرك على كل (نعمك) عوضاً عن كل « شعبك » . او هكذا « مما لك نقرّب لك لاجل كل نعمك وعوضاً عن كل شعبك »[1] .

١) المشرق ٣٤ (١٩٣٦) : ٥١٨

فم الذهب	مار يعقوب
افشين سر	... نقرب لك هذه الذبيحة الرهيبة غير الدموية ... فان شعبك وميراثك يبتهل اليك ... ارحمنا ايها الاله الآب الضابط الكل وارسل علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة روحك القدوس».
ايضاً نقرب لك هذه الذبيحة الناطقة الغير دموية . ونطلب ونتضرع ونسأل بان ترسل علينا روح قدسك وعلى هذه القرابين الموضوعة .	

فالعبارتان الاولى والثانية قد أدمجتا في قداس مـار يعقوب بالصلاة التي بدؤها « واذ نذكر يا رب موتك » المشار اليها . اماّ في قداس فم الذهب فقد نقلتا الى الافشين المومأ اليه اعلاه وأدغمت بهما دعوة الروح القدس . وقد طالما انتقد شرّاح القداس السرياني عبارة الكاهن « واذ نذكر يا رب موتك وقيامتـك» الخ. لكونها موجهة الى يسوع الفادي وصرّحوا بان صلوات القداس بأسرها يجب ان توجه الى الآب الازلي سوى الصلاة التي يتلوهـا الكاهن السرياني في خاتمة القداس فهي موجهة الى ابن الله عزّ شأنه غير انهم بعد التبصّر والامعان انشأوا حلّاً لهذا المشكل فقالوا : ان هـذه الصلاة على توجيهها الى يسوع المخلص فان الكاهن يختمها اخيراً بعبارة موجهة الى الآب الازلي فيقول : « شعبك وميراثـك يبتهل اليك (ايها الابن) وبواسطتك ومعك الى ابيك قائلاً : فيقول المؤمنون : ارحمنا ايها الاله الضابط الكل . وقد توسعنا في الكلام عن ذلك في كتابنا « القـداس السرياني » الذي لم نتوفق في نشره بالطبع حتى اليوم .

(ورقة ٥٥)	الكاهن يرفّ بيمينه ثلاث مرات
والكاهن يختم القربـان المقدس ثلاث مرار قائلاً :	فوق الجسد ويصنع ثلاثة صلبان ويقول:
واصنع هـذا الخبز جسد مسيحك المكرّم .	حتى اذا حلّ (الروح القدس) يجعل هذا الخبز جسد المسيح ...
ويبارك الكاس المقدس قائلاً :	ويرفّ كذلك على الكاس ويصنع ثلاثة صلبان ويقول :
واصنع هذا الكاس دم مسيحك المكرّم .	ويصنع المزج الذي في هذا الكأس دم المسيح ...

وقد اضاف السريان الى العبارتين الجوهريتين المشار اليها الموجهتين الى

الروح القدس عبارات اخرى خصوصاً في قداس مار يعقوب الرسول لا نرى حاجة الى ذكرها . وبهاتين العبارتين تُختم صلوات القداس الجوهرية . ومع تداول الزمان اضاف السريان الى ما سبق ست ذبتيخات او قوانين سرية وعلنية منها ثلاث ذبتيخات للاحياء. وثلاث للاموات . وها نحن نذكر ما نقله منها فم الذهب واثبته متفرقاً في قداسه .

مار يعقوب

ذبتيخا الآباء الاحياء

الكاهن يعلن :

لكي تكون لكل المتناولين والمشتركين فيها (في هذه الاسرار) لقداسة النفوس والاجساد . . .

ذبتيخا القديسين وهي الرابعة :

واهّلنا ان نذكر كل الذين ارضوك منذ القدم : الآباء القديسين . الانبياء . الرسل . .

الكاهن يقول سراً :

والقديسة المجيدة والدة الله الدائمة البتولية الطوباوية مريم وجميع القديسين . . .

ويوحنا الساعي الاول والمعمدان . . .

خاتمة الذبتيخات

اذكر يا رب الذين انتقلوا بايمان قويم من هذا العالم . ونيّح نفوسهم . . . حيث يفتقدهم نور وجهك . . .

ذبتيخا الآباء الاحياء

اذكر يا ربّ اساقفتنا الابرار الذين يفصلون لنا كلمة الحق باحكام (٢ طيم ٢ : ١٥) والقسان الموقّرين . . . والشمامسة . . . وسائر الطغمات البيعية . . .

نقرّب لك هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية لاجل كنيستك المقدسة المنتشرة في المسكونة كلها . ولا سيما لاجل صهيون ام جميع الكنائس المستقيمة الايمان . . .

فم الذهب

افشين سر (ورقة ٥٥)

لكي يكون للذين يتناولون منه تطهير الانفس ومغفرة الخطايا . . .

وايضاً نقرّب لك هذه الذبيحة من اجل المؤمنين . . . والآباء . . . والانبياء والرسل والكارزين والمبشّرين والشهداء والمعترفين . . .

الكاهن يعلن :

وخاصة لذات كل قداسة الطاهرة المباركة المجيدة سيدتنا والدة الله الدائمة البتولية مريم

افشين سرّ :

والقديس يوحنا السابق الصابغ وجميع قديسيك .

(ورقة ٥٦)

واذكر كافة الذين على رجا القيامة والحياة الدهرية توفوا . ونيّحهم حيث يشرق عليهم نور وجهك .

وايضاً اليك نرغب اذكر جميع رؤساء الكهنة المستقيمين بكلمتك الحقة . وجميع الكهنة خدام المسيح وكل طغمات الكهنوت .

وايضاً نقرّب لك هذه الذبيحة الناطقة من اجل المسكونة ومن اجل الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية .

مار يعقوب

ذبتيخا الملوك وهي الثالثة

الكاهن يقول سرًا :

اذكر يا ربّ ملوكنا وملكاتنا الحسَني العبادة وأخضع لهم كل الاعداء والمحاربين. لكي نحيا حياةً هنيئةً هادئة ونسير بكل تقوى وعفافة .

خاتمة الذبتيخات

الكاهن يعلن :

لكيا جمذا كما بكل شيء. يُسبَّح ويمجَّد اسمك الكليّ الاكرام والمبارك مع اسم ربنا يسوع المسيح وروحك القدّوس. الآن وكل اوان والى ابد الآبدين.

ويبارك المؤمنين قائلًا :

فلتكن رحمة الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم يا اخوتي الى الابد .

مقدّمة الصلاة الربيّة

الكاهن يعلن :

... لكي نجسر بقلبٍ نقيّ ونفسٍ وضيئة وبدالةٍ ان ندعوك ايها الاله الآب السماويّ ونقول : ابانا الذي في السماوات . . .

لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الآبدين امين .

لم الذهب

(ورقة ٥٦)

ومن اجل ملوكنا المؤمنين المحبين للمسيح وجميع بلاطهم واجنادهم . اعطهم يا ربّ السلامة في المملكة . لكي نحن بهدوّهم نجيز[1] عمرنا كلّه بسكون وهدوّ وحسن عبادة وعفافة .

(ورقة ٥٧)

والكاهن يعلن :

وأعطنا كمن فمٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ ان نمجّد ونسبح اسمك الكليّ الاكرام العظيم البهاء . ايها الآب والابن والروح القدس . من الآن والى كلّ اوان والى دهر الداهرين .

(ورقة ٥٨)

والكاهن يلتفت الى الباب الملوكيّ

ويبارك ويعلن قائلًا :

وتكون رحمة الله العظيم مخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم .

(ورقة ٥٩)

الكاهن يعلن :

وأهّلنا ايها السيد ان نجسر بدالةٍ وندعوك آبًا غير مدانين . ايها الاله السماوي ونقول :

الشعب : ابونا[2] الذي في السماوات .

الكاهن يعلن :

لان لك هو الملك والقوة والمجد . ايها الآب والابن والروح القدس . من الان وكلّ اوان والى دهر الداهرين .

---

١) نجيز من السريانية ܢܓܝܙ بمعنى نقضي ٢) كذا « ابونا » من السريانية ܐܒܘܢ

هذه العبارة الاخيرة نظراً الى خطورتها يجاهر بها الحبر او الكاهن في القداس الملكيّ وفي سائر الحفلات الرسمية. ومن المعلوم انها منقولة عن السريانية لا عن اليونانية . وهكذا وردت في نصّ انجيل مار متى السرياني خلافاً لسائر الترجمات . ويستخلص من ذلك ان السريان الملكيين كالسريان الموارنة والسريان الشرقيين اعني الكلدان تمسّكوا باستعمال النسخة السريانية البسيطة خلافاً للسريان اليعاقبة الذين احدثوا الترجمة الحرقلية واستعملوها منذ اوائل القرن السابع ودعوها حرقلية لان توما الحرقليّ اسقف منبج هو الذي صحّحها .

فم الذهب	مار يعقوب
(ورقة ٦٠)	الكاهن يُردف :
الكاهن يعلن :	بنعمة ورحمة ومحبّة ابنك الوحيد للبشر .
بنعمة ورأفة ابنك الوحيد ومحبته للبشر	الذي انت معه مبارك مع روحك الكلّي
الذي انت معه مبارك مع روحك الكلّي	قدسه الصالح ... وصانع الحياة... الآن...
قدسه الصالح وصانع الحياة . من الآن ...	
(ورقة ٦٠)	الكاهن يرفع الطبق وينادي :
الكاهن يرفع الخبز المقدس قائلاً :	القدسات للقديسين والاطهار تُعطى .
القدسات للقديسين .	

أصل هذه العبارة الجليلة هو كما اثبتها القداس الملكي اعني كلمتين فقط لا غير . وكانت كذلك عند السريان حتى القرن الثالث عشر . وبرهاننا على ذلك ما ذكره مار يعقوب السروجي في ميمره الثاني والاربعين (٢١٥ و٢١٧ و٢٢٤) فأورد اللفظ الاول تارة بالمفرد ܩܘܕܫܐ القدس وتارة بالجمع ܩܘܕ̈ܫܐ القدسات . ومرّة بالباء. هكذا ܩܘܕܫܐ ܒܩܕܝ̈ܫܐ القدس في القديسين . وكذا ذكرها ايضاً يعقوب الرهاويّ وبركيفا وابن الصليبي وابن المعدي. واول من اضاف اليها لفظتي « ܘܠܕ̈ܟܝܐ ܡܬܝܗܒ وللاطهار تُعطى » كان يعقوب البرطلي في القرن الثالث عشر. ثم جاء بعده من جاء فاضاف اليها كلمتين ايضاً فاصبحت هكذا: « القدسات للقديسين والاطهار يجب ان تعطى فقط ». ومن المعلوم ان كل قديس طاهر وليس كل طاهر قديساً. لان القداسة تشتمل على كل الفضائل دون استثناء. وقد حذا حذو السريان في هذه الاضافة السريان

الموارنة والسريان المشارقة ببعض التحوير وكان حق هولاء واولئك ان ينسجوا على منوال الروم الملكيين ويقتصروا على اللفظين « القدسات للقديسين » فقط لا غير . ولفظ « القدس » مقتضب من كلام يسوع الفادي وهو : « لا تعطوا القدس للكلاب » (متى ٧ : ٦) .

مار يعقوب

صلاة الشكر

الكاهن يعلن :

نشكرك ايها الرب الحنـا لاجل غزارة رحمتك ومحبتك للبشر الفائقة الوصف . لانك اهلتنا للشركة في مائدتك السماوية . . .

الكاهن يعلن صلاة القداس الاخيرة وهي موجهة الى ابن الله عزّ وعلا :

ايها الاله الذي . . . طأطأ السماء وانحدر لاجل خلاصنا . . . بارك شعبك واحفظ ميراثك . . .

فم الذهب

(ورقة ٦٢)

الكاهن يقول هذا الافشين سراً :

نشكرك ايها السيد المحب البشر المحسن لنفوسنا . لانك اهلتنا في هذا اليوم الحاضر لقبول اسرارك السماوية . . .

الكاهن يبارك الشعب ويعلن قائلاً :

خلّص يا الله شعبك وبارك ميراثك (مزمور ٢٧ : ٩)

بهذه آية داود النبي يختم قداس مار يعقوب الرسول وقداس مار يوحنا فم الذهب . وقد شاهد المتبحر في عبارات كلا القداسين صدقَ ما تحرّينا اثباته . واتضح له سمو مقام قداس مار يعقوب وقدمه ومزيد اعتبار فم الذهب له . وقد سمعه بلا ريب مراراً جمة ايام طفوليته وفتوته ورهبنتـه وقسوسيته في كنائس انطاكية وطنه واستظهر عباراته الرسولية وتلاها غير مرة على ظهر قلبه ثم نقلها الى مركز اسقفيته وترجمها الى اليونانية واستعملتها كل الكنائس الخاضعة لرئاسته الكهنوتية .

يحق اذاً للكنيسة المارونية ولشقيقتها الكنيسة السريانية اللتين حافظتـا على قداس مار يعقوب الرسول ان تجاهرا بتشرفهما بلفان كبير مجيد أطلق عليه بكل جدارة واستحقاق كنية « فم الذهب » وتدفقت انهار علومـه الزاخرة على السريان واليونان اجمع . وارتشف مناهلها الصافيـة جميع المسيحيين في مشارق الارض ومغاربها .

انّنا نسأل حمل الله القدوس الذبيح لاجلنا ان ينعم علينا بمشاهدة مار يعقوب الرسول ومار يوحنا فم الذهب في ملكوته السماوي . ويؤهّلنا ان نترنم معهما ومع مصاف الكهنة في بيعة الابكار المكتوبين في السماء هاتفين: « البركة والكرامة والمجد والعزة للجالس على العرش وللحمل الى دهر الدهور (رؤيا ٥ : ١٣) آمين

بيروت ٢٩ حزيران ١٩٤٨

نشيد المجدلية (التائبة)

للشاعر رومانس المرنم

ترجمه عن اليونانية

الاب نقولاوس قادري قب .

توطئة

رائعة من روائع الشعر العالي تتلألأ في مفرق الكنيسة نبرة بعيدة الصدى من أصوات القرون الاغريقية ، تحمل الى الاجيال الجمال الخالد المنتشر اجواقاً اجواقاً على اصوات الطبيعة الراقصة في انغام الشعراء والموسيقيين العباقرة .

تلك اناشيد رومانس ونشيد المجدلية من أروعها . تغنى بها بلبل آجيا صوفيا وشحرور بيروت . تصور الشاعر رومانس المجدلية في روعة العارض النفسي واخذ بناصيتيه وحلله تحليلاً نفسياً تحليل نفس تتفلت من قيود الاثم هاربة من خطاياها لتنال الصفح عنها بالقرب من اله المحبة الالهية .

وهذا التحليل لنفس المجدلية التائبة قلما نجده عند الشعراء والكتاب والخطباء الذين صوروا المجدلية على اقدام المسيح ذلك المشهد الفريد الذي طالما تجدد في تاريخ الانسانية التائبة . فليس رومانس بخيالي لا طائل تحته ولا بشاعر شهواني ولا بمفكر مادي ليجعل حب المجدلية ليسوع حباً سافلاً ، بل هو شاعر ديني احس بقوة يسوع ، تلك القوة الالهية تجذب اليه النفوس الخاطئة عن طريق التوبة والحب المقدس .

سمعت المجدلية بالمسيح « ينثر الكلمات على الكون اطياباً يضوع منها اريج الحياة » فشعرت في سورة مرضها الروحي بحاجتها الى الطبيب وادركت انه ضروري لها ان تفتش عن مجدد انسانها الساقط في « رجس اعمالها » لقد أحست بالحياة تتلاشى منها فنشدت مبدع الحياة ليمنحها اياها سخية جديدة ؟ عرفت انها كانت قد انفصلت عن شركة الخير السامي

فطلبت من يعيدها اليه ويمنحها « نفساً جديدة قد اضاعتها » ؛ شعرت بانهـا كانت سجينة في اعماق الظلمات ودياجير المآثم فطلبت شعـاع النور ؛ كانت اسيرة فطلبت المخلص ، وكانت سجينة فطلبت المحامي ، وكانت عبـدة تئن تحت نير العبودية والشقاء الروحي فطلبت المحرر الكبير ؛ كانت غرثى الى الطعام فجاءت تفتش عن غذائها السماوي ، وبعد ان تركت « فتات مآثمهـا استلبت الرغيف » رغيف النعمة . فاحبت المسيح قبل ان تلمحه ؛ واذ سمعت به جُرحت بمشقة الالهي فأحبته لانه اله وابن الله فتخات عن عشاقها القدماء لترضي الحبيب الجديد .

ونحس من خلال هذه المشاهد والصور العديدة المتنوعة نبعات قلب الجدلية تتكسر على شواطئ يسوع بحر الرحمة والاحسان ومحيط الحب الصادق الالهي ؛ ونشعر بطمأنينة الروح الهادئة الساكنة تقترب من الميناء بعد ان كانت تتخبط في عواصف الابحار والاهواء .

وكأني بالشاعر الخالد رومانس وقد حلّق بخيـاله الفسيح المهيمن فوق الزمان والمكان يشق عباب الاجيال الكثيفة ودياجير السنين فيرى بروح الانبياء العظام والشعراء العباقرة « مجدليات » القرون ترتمي على اقدام المسيح وتصرخ بصمت : « ألثم قدميك فانتشلني من رجس اعمالي »[1] هذا ما صوره الشاعر البيزنطي بقصيدته الرائعة بالفاظ موسيقية عذبة تحس من قراءتها غليان العواطف المختلجة في فؤاد الجدلية التائبة وقد تتوارد افكار الشعراء وخواطر المصورين الفنانين ، ففي القرن الخامس عشر صوّر الرسام الايطالي فرا انجليكو (Fra Angelico) بريشته الساحرة ذلك المشهد الجميل الصامت مشهد الجدلية تلثم بسكون وتهيب اقدام المسيح كما وصفهـا الشاعر رومانس في القرن السادس . ونحن نتحف قراءنا الكرام بهذه اللوحة الشعرية لنطلعهم على عبقرية الشاعر رومانس والمصور فرا انجليكو[2] وتقارب روحيهما على بُعد تسعة قرون .

١) راجع المقطوعة الخامسة عشرة .

٢) هو يوحنا دي فياسولي ١٣٨٧-١٤٥٥ عاش في القرن الخامس عشر ولقب برسام الملائكة « فرا انجليكو » . ولوحاته مدهشة بعذوبة الالهام وطلاوة الالوان ولا تضاهى .

ولا يتوقف رومانس عند هذا الفن من التحليل لنفسية خالدة تتجدد كل يوم مدى الاجيال بل يزيد غنى على غناه فيلبس نشيده ثوب المأساة ويوشيه بالحوار الرشيق وقد قال الكاتب الانكليزي ستفنسون (Stevenson) عن هذا الحوار ما نصه : « ان حوار الجدلية لرومانس لحوار جدير بملتون »[١]

وبالحقيقة من تصفح المقطوعات الثلاث (٩ و١٠ و١١) وقف على روح رومانس وعبقريته الخلاقة وقد يجعل من موضوع بسيط : شراء الطيب مثلاً موضوعاً غنياً بالالهام والعمل المسرحي والدرس النفسي . فيبين من خلال هذه المقطوعات الثلاث نفسيتان مختلفتان وشخصيتان بارزتان : نفسية العطار الخائف على طيبه المفكر بالربح المادي ، ونفسية الجدلية المحتقرة « الغنى الطاغي » فتظهر بمظهر التجرد وتبتاع الطيب ولو كلفها الثمن « دمها وعظامها » تشتري الطيب ليسوع ذلك الطيب الغالي الذي لا يساويه شيء ولا يعادل لا بالسماء ولا بالارض ولا شيء يمكن ان يعتبر أهلاً لمن خف واسرع لينقذ الخاطئة من رجس اعمالها .

وفي هذا المشهد الخلاب يتلاقى رومانس والرسام الايطالي اندريا دل سرتو (Andrea Del Sarto) فرومانس يعبر الالفاظ والاصوات ما يعبره اندريا[٢] للالوان فيصوران هذا بالالوان وذاك بالشعر يصوران ما يشعران به من احتقار الجدلية للغنى والشهوات فتبتاع طيباً ولا تبالي بالغنى الطاغي تبتاع طيباً لمن طهر نفسها من رجس اعمالها[٣] .

ورومانس شاعر قوي الشعور واسع المخيلة يحاكي فيكتور هوغو باستعاراته الجريئة وطباقاته : « الزانية دعوتها ابنتك . الكلبة اولاً والنعجة اخيراً . المومس امس والعفيفة اليوم . » واصرخ بصمت . . .

ورومانس شاعر رمزي قبل الرمزية : « فهاك ، ربي ، طيبي هذا

---

١) Cp. Revue des questions Hist. 1886 P. 484

٢) اندريا دل سرتو (١٤٨٦-١٥٣١) رسام ومصور ايطالي ولد في فلورنسا وبرع في فن التصوير الدقيق . لوحاته لها مسحة من الجمال الموزون وظرافة التلوين وانسجام في تركيب الالوان .

٣) راجع المقطوعة الحادية عشرة في آخرها .

مستعطفاً اياك !». وقوله عن المجدلية :« لذلك تعدو بخطىً جائعة»؛و« طرحت فتاتها لتستلب الرغيف » ..

وروماني مصور بالالوان :« رأت كلمات المسيح.» لا سمعت بها وقوله : « تعدو بخطى جائعة » صورة حية غنية بالالوان . وذلك الطيب المستعطف المستعطي ، لون من الوان النفس الكئيبة التائبة .

وروماني نسر سريع التحليق في الكتاب المقدس بعيد المدى في معانيه وايحائه يوجز بكلامه ليعبر عن مشاهد وصور فسيحة الارجاء والأجواء في رموزها ووحيها الطليق .

وروماني علاوة على ذلك شاعر ديني غني بالمعارف الادبية النفسية وله باع طويل في معرفة الكتاب المقدس فيخلع على مقطوعاته بردة جليلة تشع بالالوان والدروس النفسية فيستلهم الكتاب واجواءه الطليقة وينتقي اشخاصاً ونفسيات مثقلة بالمعاني والالهام فيقابل بينها وبين شخص المجدلية التائبة: فهناك الكنعانية بايمانها وتواضعها ؛ وهناك ميكال بحبها والتصاقها بداود ، وهناك راحاب بضيافتها وامساكها الجواسيس وهناك حنة ام صموئيل بتضرعها وبكائها الوديع ؛ وهناك سمعان برفعته وجسارته ، كلها مشاهد وصور غنية بالالهام النفسي والوحي الخصيب يدرسها روماني ويقابل بينها وبين المجدلية ثم يفرز هذه الاخيرة عنهم ويفتح امامنا آفاقاً بعيدة شقت المجدلية اليها سبيلاً عندما شعرت بالتوبة تلج نفسها واحساساتها فتسقط باكية عند اقدام المسيح ابن البتول وفاطر كل جمال وتولول منتحبة : « ألثم قدميك فانتشلني من رجس اعمالي !».

فهذا النشيد هو انشودة الحب المطهر واغنية الشعراء ووحي الانبياء العظام عرف روماني ان يستقي الشعر الحق من اله الوحي الخالد من قلب الله الشاعر الاكبر الذي نظم الكون ابياتاً من الشعر الازلي تشدو به الطبيعة الراقصة بالحانها العذاب...

نشيد المجدلية ١)

لرومانس المرنم

مقدمة اولى ٢)

الزانيةُ دعوتها ابنتك ،
ايها المسيح .
فاجعلني انا مثلها
للتوبة وليدا .
سألتك : نجني
من رجس اعمالي !

مقدمة ثانية

الخليعة حينا سارت
وراءك
نادمة
هتفت تائبة اليك ،
انت الساتر الخفايا :
ايها المسيح ! ايها الاله !
كيف أتلفت اليك
انا المغوية الملا
بتلويحات لحظي

كيف تستعطفك ،
يا حنون ،
من أغضبت خالقها ؟
فهاك ربي ،
طيبي هذا
مستعطفاً اياك .
الا هبني محوَ عارٍ
وصمني بهَ
رجسُ اعمالي !

1) Pitra Analecta Siacra t. I. pp. 65-92 Parisiis 1876.

٢) لهذا النشيد مقدمتان

١

من عاشت في زناها ،
حتى ذلك الحين ،
رأت كلمات المسيح
منشورة على الكون أطيابا
يضوع منها
أريجُ الحياة ؛
فمراها البغض
لنتانة اعمالها ،
ودارَ ذلّها في خَلَدِها
فتأملت في ما تقاسيه
من الاضطراب ...
من كان اعمق حزنا
ألمّ بالزناة
مجاوريها !
وانا واحد منهم
اعدت لي عذابات ،
نبذتها الزانية
فمات زناها .
اني وان كنت نابذها
لم ازل
في رجس اعمالي.

٢

لم اشأ هجر المعاصي
ولا ذكرت اهوالا
سأنتهي اليها .
ما أقمت لحنان المسيح وزنا.
هو يبحث عني
في كل مكان ،
يطلبني انا من تاه
عَن رضى .
يتفقد من اجلي
كل زاوية
ومن يقوت الانام طراً
من اجلي
يأكل عند الفريسي .
يجعل من المائدة مذبحا ،
يمتد عليه
ويترك الدين للغرماء
فيقبل اليه
بكل الثقة كل مديون
قائلا :
يا سيد انتشلني
من رجس اعمالي !

٣

الشذا الفائح من مائدة المسيح
دغدغ من كانت فاجر
فتركت اليوم .
الكلبة اولاً ،
والنعجة اخيراً .
من كانت امة غدت ابنة
المومس امس ،
والعفيفة اليوم .
لذلك تعدو
بخطىً جائعة ؛
طرحت فُتاتها
لتستلب الرغيف .
انها لاشد جوعاً
من تلك الكنعانية [1]
فاشبعت نفسا طاوية
كانت متلهبة بالهوى الى حد بعيد .
وبالصمت وليس بالصراخ حررت نفسها
بعد اذ ضجّ نحيبها :
الا انتشلني ، سيدي ،
من رجس اعمالي !

٤

ليتني اسبر غورَ
نفس هذه الفتاة الحكيمة ،
واعرف كيف اشرق فيها
السيدُ الفائق البهاء
وخاطر كل جميل !
الذي هامت بطلعته الزانية
ولما تلمحه .
كما ذكر كتاب الاناجيل [2]
اذ كان المسيح في متكإٍ
في بيت الفريسي
عرفت به احدى النساء .
فاسرعت اليه
وهي تحث قلبها
على التوبة وتقول :
هيا بنا يا نفسُ
هو ذا الزمان
الذي تنتظرين ،
ها قد وافى من يطهرك
علامَ ثمة تظلين
في رجس اعمالي ؟

١ اشارة الى ما جاء في انجيل متى ١٥-٢٢-٢٩
٢) لوقا ٧-٣٧ .

٥

اذهب اليه ،
فقد اتى من اجلي .
اصرف عشاقي القدماء ،
واصافي الحب لهذا الجديد .
اسكب الطيب عليه
وألاطفه ؛
ابكي منتحبة ، مولولة
فيحبني عادلا .
اغدو غير ما انا ،
ارضاء للحبيب
وكما يشاء ان يحب
هكذا احب حبيبي :
أندم متذللة ،
فهذا ما يريد .
اصمت واتوارى عن الانظار .
فهكذا أُسَرُّه .
ابتعد عن اولئك لابهجه هو .
وموجز القول :
الاثي مودعة
رجس اعمالي .

٦

لأذهبن اليه فأستنير ،
كما قال الكتاب [1]
لأقترَبن الان من المسيح ،
ولا استحي ابداً .
لن يقرعني قائلا :
إلامَ انتِ في الدياجير ؟
هلمي فانظريني
انا الشمس !
فلأحملنَّ الطيب اذن
واسرعنّ
سأجعل بيت الفريسي
منارة .
فهناك
سأطهر من آثامي ،
واغسل من خطاياي ،
سأجعل قاروري
مزيجاً من دموع وزيت وطيب .
سأستحم واتنقى
هاربة
من رجس اعمالي .

١) افسس ٥-١٤



المجدلية

للمصور الايطالي أندريه دل سارتو

« فلأحملن الطيب اذن وأسرعن ... »

٧

قبلت قِدما راحابُ
الجواسيس [1]
ومكافأة لضيافتها
ولحسن امانتها
نالت الحياة .
كان مرسلُ الجواسيس
رمزاً للحياة ،
يحمل اسماً كريماً ،
اسم يسوعي :
لقد بدت حكيمة راحابُ البغي
لما اضافت الجواسيس ؛
والان فبغيٌ غيرها
تسعى لتدفق الطيب
على البتول ابن البتول .
تلك صرفت من اضافت ،
اما انا فأمسك من أحبته نفسي
لا اتمسك به جاسوساً لارض الميراث
بَل رقيباً على الجميع
امسكه واتخلى عن الخنا
ورجس اعمالي .

٨

ها قد اطلَّ عليَّ زمان
طالما اشتاقت اليه نفسي بحنين ولهفة .
واضاءني نهار وسنة مقبولة .
في بيت سمعان يجلس الهي .
سأسرع اليه ،
وسأعول كما بكت حنة على العقم [2]
واذا ما حسبني سمعان سكرى
كما حسب عالي حنة قديماً ،
لُذت مثلها بالصلاة ،
فاصرخ بصمت :
ايها السيد ،
لا اطلب لي ولداً ، بل نفساً
وحيدة اضعتها .
فكما ان صموئيل ،
هو ابن المرأة العاقر ،
انت ، يا عمانوئيل ،
ابن فتاة لم تعرف رجلاً .
يا واهب الابن للعاقر ،
نجِّ الزانية ، نجني
من رجس اعمالي .

١) سفر يشوع بن نون ٢-١-٢٤ و ٦-٢٢-٢٥
٢) سفر الملوك الاول ١-٣

٩

انتعشت بهذه الكلمات
الفتاة الامينة
فجثت خطاها
الى شراء الطيب
ولما بلغت العطار صرخت به :
اعطني إن كان لديك
طيباً خليقاً بحبيب
أحببته بالعدل والطهر
فأضرم كياني كله
الفؤاد والاعصاب .
لا تخشَ الثمن !
مالي اراك ترتاب بي ؟
اني لمستعدة
اذا ما اقتضى الأمر
ان اجود حالا
بلحمي وعظامي
لمن جاءني مسرعاً
ليطهرني من فساد
وصمني به
رجسُ اعمالي

١٠

رأى العطار
رغبة الفتاة
وشوقها فقال لها :
« ألا اخبريني ،
ما فضل حبيبك على الاحباء[1]
حتى فتنك بحبه فتونا ؟
اي الخصال جعلته أهلا
لهذا الطيب ؟ »
فاذا بالتي تركت
ترفع صوتها الصريح
صارخة به :
« ما هذا القول ، يا رجل ؟
أوَ لديك ما هو خليق به ؟
لا نظير له ولعظمته
لا السماء ولا الأرض
ولا العالم كله
وليس ما يمكن
ان يعتبر اهلا
لمن خفَّ فانقذني
منْ رجس اعمالي ...

---

١) نشيد الاناشيد ٥-٦.

١١

هو ابن داود
انه لجميل
بل الجمال كل الجمال
لانه اله وابن الله .
لم تره عيني من قبل ،
انما طرق مسمعي ذكره ،
فتأملت له
لدى تفكري بان طبيعته
لا تبلغها الانظار
ميكال قديماً
نظرت الى داود فشغفت به (١
اما اليوم فاني لم ارَ
ابن داود
واني لأحبه حتى الهيام
تلك تخلّت عن قصور الملوك ،
والتصقت بداود الفقير ؛
اما انا فلن ابالي بالغنى الطاغي
بل ابتاع طيباً
لمن طهر نفسي
من رجس اعمالي

١٢

قطع السكوت سياق الحديث .
فتناولت الفتاة الرزينة
طيباً زكي العرف .
فكنت تراها تدو
الى مخدع الفريسي ،
كانما دُعيت لتعطر المأدبة
تنبه لها سمعان فاخذ يلوم
الرب والزانية ونفسه .
يلوم السيد
لانه كان يجهل تلك التي
اقتربت منه .
ويلومها
لانها سجدت بلا حياء .
ويلوم نفسه ،
لانه استقبلها بلا روية ؛
يلومها خاصة
لانه سمح بالدخول
لمن هتفت :
انتشلني
من رجس اعمالي ! »

١) سفر الملوك الاول ١٨—٢٠

١٣

ـــيا للطهر ويا للعفاف !

ـــ ماذا يقول ؟

انا صنعت ذلك !

دعوت يسوع كاحد الانبياء ،

اما هو فلم يفهم .

وتلك التي عرفناها جميعنا ،

جهلها هو .

فلو كان نبياً ،

ولا ريب لعرفها .

واتضحت لساير القلوب والكلى

خواطر الفريسي الحمقاء .

فغدا له عصا استقامة ،

اذ قال له :

« اسمع ، يا سمعان ،

ما اريد من الحنان

لك ولتلك التي تراها

تصرخ بالبكاء والنحيب :

ايها السيد ،

نجني

من رجس اعمالي ... ! »

١٤

رأيتني حقيقاً بالملامة ،

لاني لم اردع

من اسرعت

هاربة من آثامها .

انه لقبيح بك ، يا سمعان ،

وملامتك ليست موقع الصواب ..

فكّر ملياً بما اقوله لك ،

واحكم بعدل :

كان لمداين مديونان

على الاول

خمس مئة دينار ،

وعلى الآخر خمسون .

واذ لم يكن لديهما ما يفيان به

عفا عن كليهما ــ

فقل لي :

أيهما كان اشد حباً له[1] ؟

قل لي :

من عليه ان يصرخ :

لقد خلصتني

من رجس اعمالي ؟

---

١) لوقا ٧ــ٤٠ــ٤٣

١٥

تفهمَ الفريسيُّ الحكيم
هذا الكلام فقال :
« حقاً ، يا معلم ،
انه لأمر واضح للجميع
انه على الاكثر ديناً
ان يحب اكثر حباً
فقد ترك له اكثر »
فاجابه السيد :
قلتَ حقاً ،
يا سمعان ،
تلك حالنا
من لم تدهنه انت ،
طيّبته هي .
ومن لم تغسله بالماء أنت ،
غسلته هي بدموعها
ومن لم تحيّه بقبلة انت ،
قبّلته هي
وصرخت :
ألثم قدميك ،
فانتشلني
من رجس اعمالي .

١٦

الآن وقد أبنت لك
بأي حبٍ أحبتني
أبنت لك في الوقت نفسه ،
يا رجلاً شريفاً
من الدائن
وكشفت لك
عن حال مديونَيه .
انك لواحد منهما ،
والآخر هذه المرأة الباكية.
وانا مداينكما
وليس لكما فحسب ،
بل لجميع البشر .
انا واهب الجميع
كل ما يملكون ،
النسمة والنفس والحسّ ؛
الجسدَ والحركة .
اذاً بوسعك ، يا سمعان ،
ان تملك مداين العالم
فتوسل واصرخ اليه :
نجني
من رجس اعمالي



المجدلية

للمصوّر الشهير فرا انجليكو

« ألثم قدميك فانتشلني

من رجس اعمالي . . . »

١٧

انك لعاجز عن وفاء دينك
فكن صامتاً بالأقل
ليوهب لك .
لا تدينن من دانت نفسها
ولا تزدر بمن احتقرت ذاتها .
بل اطمئن بألّا
فاني لن اطالبكما بالدين
انت او هي .
قد عفوت عنكما
كما عفوت عن الناس جميعاً .
وان عشت حسب الشريعة ،
يا سمعان ،
لا تزال مع ذلك مديوناً لي .
فهلمّ وصافح نعمة
أنعمت بها عليك
انظر المومس ،
كيف تصرخ
على مثال الكنيسة :
احتقر وأمتهن
رجس اعمالي…

١٨

إذهبا فقد ترك لكما
ما تبقى من الدين .
سيرا فقد تحررتما
من كل غُلّ
ولا ترجعا
الى الأسر ثانية !
لا تكتبا عليكما صكاً آخر
بعد اذ مزّق الاول [1]
قل لي ذلك يا يسوعي ،
اني لقاصر
ان اعيد اليك ما استدنته .
لاني أسرفتُ الربى
ورأس المال .
فلا تطلب مني
ما اقرضتني ،
رأسَ مالِ نفسي
وربى جسدي .
بل ارحمني لانك حنون
إنسَ وامحُ
رجس اعمالي…

١) اشارة الى رسالة بولس الى اهل كولوسي ٢–١٤

وثائق تاريخية عن حلب

أخذا عن دفاتر الاخويات وغيرها

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

توطئة

عدت الى حلب ، مسقط رأسي ، واقمت فيها عشر سنوات من ١٩٣٧ الى ١٩٤٧ وفي غضونها اطلعت على آثار خطية تاريخية لم تطبع بعد . ففي المكتبة المارونية وبفضل المثلث الرحمات المطران ميخائيل اخرس تمكنت من تصفح بعض الاوراق والدفاتر السابق تاريخها نهاية القرن الماضي ومنها « دفتر اخوية عزبان الموارنة » و « دفتر اخوية القربان المقدس » المشتركة بين سائر الطوائف ؛ وفي دار الاسقفية الارمنيـة الكاثوليكية بإذن صاحب السيادة المطران غريغوريوس هندية ومساعدة حضرة الورتبيت ميشيل حسون دريت « دفتر اخوية عزبان الارمن » ؛ وفي دار الاسقفية الملكية الكاثوليكية نسخت لائحة الكهنة الاقدمين وشيئاً من اخبارهم كما اني نسخت المراد غير القابلة من الدفاتر المذكورة سابقاً ومن غيرها من الوثائق كسجلات القنصلية البريطانية ، بفضل المرحوم القنصل داڤيس (Davies) ومؤازرة ترجمان القنصلية آنذاك السيد اسكندر اخرس وسجلات القنصلية الفرنسية باذن خاص من الوزارة الخارجية الفرنسية واذا بي اعود الى المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف وحقيبتي مكتظة بالاوراق المحبّرة فاراجع ما فيها وفي مكتبتنا من الوثائق المتصلة بها فاراني متمتعاً بتحف لا يستهان بقيمتها اذا ما برزت كما كانت في زمانها ومكانها مصورةً في اطارها التاريخي فيعظم شأنها شأن الحجر الكريم اذا ما ركبه الصائغ فصاً في الخاتم الذهبي .

وما الغرض من هذا المقال الا رواية الحوادث والاخبار على علاتها كما جاءت في اصلها المخطوط والتعليق عليها بالفوائد التي سبقني المؤلفون الى الكتابة عنها وسأشير اليهم كلما رويت عنهم او رجعت اليهم وقد ضربت لانحتهم في ذيل الكتاب.

ولما كان « دفتر اخوية المزبان الارمن » الاوفر مادةً والاكمل ترتيباً بين سائر الوثائق[1] التي جمعتها فقد اتخذته اساساً لما سيبنى عليه صادراً من المصادر المتنوعة التي نذكرها في حينها فتتكامل بين يدينا حلقة السنوات من منتصف القرن الثامن عشر الى نهاية الحرب الكونية الاولى . واذ نسير بالقارئ من عام الى عام نلاقي عشرات الاسماء من اسر مواطنينا ومن ذكرهم تتكون صفحات غالية من تاريخنا ومادة وافرة لدرس الاعلام الشخصية الشرقية ؛ ولا بد من كلمة عن اصل الاخويات ونشأتها وانتشارها فتكون كالمقدمة لكتابنا

الاخويات ونشأتها[2]

اول من اسس الاخوية راهب يسوعي شاب اسمه يوحنا لونيس Jean Leunis كان معلماً في المدرسة الرومانية سنة ١٥٦٣ وله تلامذة فتيان يجمعهم للصلاة وللقراءة الروحية عقب الانصراف من المدارس . وانطبعت قلوب هؤلاء الاعضاء الاولين مؤسسي الاخوية الاولى بطابع العبادة البنوية للعذراء مريم القديسة فسنّوا لانفسهم قانوناً مارسوه وغرضهم التقوى والثقافة واعمال الرحمة الروحية والزمنية وذلك القانون لم يزل مرعياً في سائر الاخويات التي تأسست منذ القرن السابع عشر الى يومنا وكان اعظم مشجع لها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بالبراءة التي اصدرها في ٥ كانون الاول سنة ١٥٨٤ ومنح بها الغفرانات للمشتركين في الاخوية.

---

١) منها وثائق الموارنة والروم الكاثوليك وغير ذلك مما عثرت عليه في البيوت اضف اليه ذكر حوادث الشام في سنة الستين عن مخطوطة في حلب وفي دمشق.

٢) عن فيلاربه : كتاب المرشد ص ١٥ وعن المؤلف ذاته : تاريخ الاخويات المريمية ص ٢٢.

وانتشرت الاخويات في مدارس الآباء اليسوعيين اولاً ولا عجب وقد اسسها احد اساتذتهم وخرجت من المدارس فجمعت الشبان بعد نهاية دروسهم اذ كانوا يعودون الى المعاهد التي قضوا فيها السنين الطوال من حياتهم فيواصلون فيها حسن العلاقات بينهم وبين معلميهم الاقدمين ، والرابطة الجوهرية بينهم كانت العبادة للسيدة عليها السلام .

وكانت تلك العبادة ولم تزل في صميم روح الكثلكة فاحبها الاكليروس العلماني اذ رآها مزدهرةً بين اعضاء الاخويات اليسوعية فانتمى اليها ودعا اليها مصاف المؤمنين من الرعايا والابرشيات فكثر عدد الاخويات وكان غرضها الاساسي واهم قوانينها موحداً بين الجميع ومع ذلك كانت كل اخوية مستقلةً في ذاتها متساوية بحقوقها في الغفرانات الا ان الاخوية الاولى في رومة كانت تعتبر كأم ورأس سائر الاخويات في العالم الكاثوليكي لكي تحفظ بين الاخويات كلها الروح المستوحاة من مؤسسها والمصادق عليها ببراءة الحبر الاعظم المذكورة .

وفي ما يخص بلدتنا حلب كان الآباء اليسوعيون قد انشأوا فيها اخويات للافرنج وللموارنة والارمن في منتصف القرن السابع عشر فنمت وافلحت[1] وفي ذلك العهد وبعده كما في ايامنا كانت تحدث ازمات وظروف معاكسة لنشاط الاخوية فيتضاءل نفوذها ويتقلص ظلُّها فيتشتت الاعضاء وتُقف حركة الاجتماعات الاسبوعية لزمان ما الى ان تهب الريح مؤاتيةً لما تشتهيه السفينة فيقبض على دفتها رجل مقدام يستفز الهمم ويسترد الاعضاء ويجمع شتاتهم او يذهب في طلب غيرهم ويعيد انشاء اخوية جديدة موافقة للظروف والطوارئ .

اخوية عزبان الارمن

كذا جرى في اخوية عزبان الارمن التي ننشر الاخبار والوثائق عنها فان رئيس الآباء اليسوعيين الأب فرنسيس كويبه في حلب تعرف الى نخبة من شبان الارمن فدعاهم اليه سنة ١٧٥٢ فامتحنهم واختبر عزمهم على الثبات في

(١) راجع ربابط : الوثائق ١ ، ص ٦٥٦ في الفهارس في مادة اخوية .

الاعمال وشرح لهم القوانين وما يتمتعون بها من الميزات وما تفرضه عليهم من الواجبات فقبلوا بها وما لبثوا ان شكلوا هيئتها المؤسسة كما سترى ذلك في الدفتر الاحق باسم كتاب وهو عبارة عن اربعة مجلدات كبار تشمل الوقائع : الاول : من السنة ١٧٥٢ الى السنة ١٨٣٢ ، الثاني : من السنة ١٨٣٢ الى السنة ١٨٥٧ ، الثالث : من السنة ١٨٥٧ الى السنة ١٨٨٤ ، الرابع من السنة ١٨٨٤ الى السنة ١٩٠٩ .

والمجلد الثالث مفقود ولم نعثر عليه بتفتيشنا في حلب ولا في اديرة حضرة الآباء اللعازريين في دمشق وبيروت وطرابلس لان اخوية عزبان الارمن كانت ترجع اليهم بارشادها وادارتها في ذلك العهد لكننا سوف نعوض عما خسرناه بفقدانه بعض التعويض برجوعنا الى غير ذلك من المصادر المختصة بالحقبات المفقودة في ذلك العهد .

قرأنا « دفتر اخوية عزبان الارمن » فاذا فيه الغث والسمين ولا يصلح للنشر بكماله لان الكثير من الوقائع الاسبوعية تترادف هي هي تقريباً في كل عام في الاعياد وفي غير ذلك من المواسم والظروف المألوفة فاعملنا فيها الروية وانتخبنا منها اما بالحرف واما بالمعنى لا غير ما رأيناه حقيقاً بالنشر وعلقنا عليه بما وفقنا الى معرفته من مطالعاتنا او مما سمعناه عن لسان الحلبيين الثقات ولا يلومنا لائم في ابراز «الدفاتر» غير ما هي في اصلها لان ما ننشره يكون أخذاً عن الاصل لا نسخاً وهذا ما توخيناه وانما الاعمال بالنيات.

وان هذه المواد المقتضبة من رؤوس الاقلام مع التعليقات والاخبار المتصلة بها سوف تظهر في مقالنا سلسلة بحلقات السنين كما جاءت في « الدفتر » وقد يتخللها تعليقات واستطرادات كانت نتيجة بحثنا ففصلناها فصولاً عندما رأينا السبيل الى ذلك لئلا تثقل وطأتها على ذيول الصفحات اذا علقناها عليها تعليقاً فضلاً عن ان كتبة « الدفتر » سوف يأتون بمثلها اذا ما توسعوا بوصف حفلة او ذكر واقعة .

ومن هم هؤلاء الكتبة ؟

ان قانون الاخوية يقول بانتخاب الموظفين سنوياً وأحدهم كاتب الاسرار

فهو الذي يحرر محاضر الجلسات في المشورة ويدون في السجل اسماء طالبي الدخول في الاخوية وايام قبولهم الختم او الشهادة وانخراطهم في سلك الاعضاء. ويحفظ في كتابه خلاصة الاعمال . وقد تأتي الايام بحوادث سياسية او مدنية لها تأثير في حياة الاخويـة اذا صارت اضطرابات في البلد او تفشت فيها الامراض فحالت دون اجتماع الاخوة او غير ذلك مما يملي على المحرر سرد الاخبار طويلة او مختصرة طبقاً للظروف العامة ولمواهبه الشخصية ومقدرته على الانشاء. وسيأتي ذكر اسماء الكتبة في لائحة الموظفين واحدهم يسمى اليازجي.

ولما كانت وقائع اخوية عزبان الارمن تمتني خاصة بشؤون طائفتها فلا عجب ان يأتي الكلام فيها كالموجز لتاريخها ولا بد من فهم « الدفتر » من نظرة في حالة الارمن الكاثوليك في حلب في منتصف القرن الثامن عشر.

حالة الارمن الكاثوليك

في الكلام عن عدد سكان حلب (المشرق ١٩٤٧ ص ٢٤٩) رأينا سابقاً ان عدد الارمن فيها كان ٦٧٥٠ ومنهم الكاثوليكي وغير الكاثوليكي ولم يكن الفرق بين الاثنين محدوداً مدنياً باعتبار السلطة المدنية شأنه اليوم ولم يكن ولاة بني عثمان ليهتموا له لان الاسقف سواء أكان متحداً مع الكرسي الرسولي الروماني ام منفصلاً عنه كان مقامه في دار الاسقفية الموجودة الى يومنا ضمن البنايات التي يدخلها الناس في حي الصليبة من البوابتين الكبيرتين المؤديتين الى الباحة التي تفتح عليها ابواب الكنائس الاربع: كنيسة الروم الارثوذكس وكنيسة الموارنة القديمة وكنيسة الاربعين شهيداً للارمن وكنيسة السيدة للارمن ايضاً .

في المحاضرة التي القاها في حلب السيد اردافاست سورميان ونشرها بالطبع سنة ١٩٣٤ بيّن ان كنيسة الاربعين شهيداً وهي الكاتدرائية الحالية للارمن غير الكاثوليك بنيت سنة ١٦١٦ ومن تاريخ الرهبانيات اللاتينية من كبوجيين وفرنسيسكان وكرمليين نعرف انهم لما نزلوا حلب سنة ١٦٢٥ كثيراً ما كانوا يقدمون الذبيحة الالهية في الكنيسة المذكورة ويخدمون فيها النفوس وكان الارمن الكاثوليك يصلون فيها ككنيستهم الخاصة.

واشار السيد سورميان[1] الى حسن التفاهم والصداقة التي كان المسيحيون على اختلاف الطوائف يعيشون في ظلها فيتناولون الاسرار معاً وروى (ص ١٠ وص ١٩) ما كتبه سمعان اللمبرجي اذ زار حلب بعد عودته من القدس سنة ١٦١٦ فقال ان الموارنة كانوا يكرمون الارمن بنوع خصوصي وقد بادلهم الارمن جميلهم فسادت الالفة بينهم وبين سائر المسيحيين وفتحوا كنيستهم للفرنسيين والطليان وجعلوا لمرسليهم مذابح يقدسون عليها . وبيّن الاب تورنبيز في المقال المذكور في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي مجلد ٦ عمود ٣٣٠ وما بعده ان رجالات من علية الاكليروس الارمني اتصلوا برومة واعترفوا بسلطة الحبر الاعظم ابي المؤمنين العام .

لذلك الاتفاق تصدى البطريرك اسطفان الدويهي وكان قد قضى خمس سنين في حلب واعظاً بين ١٦٦٠ و١٦٦٦ فذكر قدوم السلطان مراد الى حلب سنة ١٦٣٨ في كتابه تاريخ الازمنة (راجع مخطوط المكتبة الشرقية رقم ١٥٩٥ في حوادث ١٦٣٨) وقال ان كنيسة مار الياس الموارنة كان قد احترق سقفها مع الدرابزين وكنيسة بانياس قد خربت ولم يكن امر ترميمها واصلاحها هيناً منذ عهد الفتح الاسلامي كما هو بين في كتب «الحسبة» فتقدم المسيحيون بالخضوع للسلطان واستأذنوه بعمار كنيسة مار الياس في حلب فجددوا «قلدها» وبعمار كنيسة بانياس فتكون لهم وللارمن معاً دليل على ان الارمن في ذلك العهد كانوا يعتبرون كاثوليكيين وكنائسهم كانت تعتبر كاثوليكية الى ان افترق غير الكاثوليك عنهم وجردوهم من كنائسهم واوقافهم .

وفي غضونها كان الشعب يتردد على كنائسه من ارمنية وغيرها ويسمع فيها الى تعليم المرسلين ويبعث باولاده الى مدارسهم فما ان تنتعش بينهم روح الدين المسيحي الا ويرون انفسهم متحدين عفواً بالايمان الكاثوليكي مع المرسلين الى ان تدب عقارب السعاية وتنفث سم التفريق فيهم لانه اذ كان التعليم الكاثوليكي يدعو الجميع على اختلاف اللغات والطقوس والطوائف الى الحظيرة البطرسية الواحدة فقد اصبح البعض من زعماء الاكليروس الارمني

١) حياة حلب وثقافتها ص ١٦ .

واعيان الشعب يمنعون ابناء طائفتهم عن معاشرة المرسلين بكونهم اجانب عنهم وقد يؤدي الامر الى انقسام الطائفة وبلجى ابناءها الذين اعترفوا بالسلطة الرومانية على سائر الكنائس الى هجر كنائسهم التي عمروها بدراهمهم والى بناء غيرها على انهم يذكرون ما فقدوه وينوّهون به في فاتحة « الدفتر » الذي ننشر عنه الاخبار واليك بدؤه .

الاعضاء المؤسسون

نبذة في ايراد تأسيس اخوية المزبان من طائفة الارمن التي هي على اسم الجبل بسيدتنا مريم العذراء بغير دنس وكيفية السعي في اقامتها وما حدث في ابتدائها تفصيلًا من اوائل شهر تموز سنة ١٧٥٢ مسيحية .

لما كان محقّقًا ومعلومًا عندنا ان كل خير روحي كان او جسدي حصلنا عليه هو ناتج بشفاعة سيدتنا مريم العذراء وان الاخويات المنشأة على اسمها في طائفتنا الارمنية كانت مصدرًا لخيرات جمّة فلا بدّ من ان ننسب الى فتورنا في التعبد للعذراء مريم ما حصل بطائفتنا من الويلات اذ فقدنا كنائسنا فتسلمتها الاراطقة وخسرنا كهنتنا . فحرك الله في هذا الزمان قلوب البعض من ابناء طائفتنا فابصروا الحالة السيئة التي صاروا اليها بعدم التجائهم الى والدته المجيدة وذلك على يد الاب الكلي الشرف والاحترام الباذري فرنسيس[1] الرئيس العام اليسوعي حينما كان يدعونا الى اجتناء ثمارها فانتبهنا وبذلنا جهدنا في تجديد الاخوية فتكون لمزبان طائفتنا الارمنية لا غير وتزيد على شروطها المعهودة شروط اخوية حماية الايمان الكاثوليكي وانتشاره وهي رسومات الاخوية الاولى التي انشئت في مدينة رومة وقررنا ان تكون اجتماعاتنا في دير الآباء اليسوعيين[2] وتحت تدبيرهم وارشادهم الى الابد .

ولم نشرع في تأسيس هذه الاخوية واخذنا اولًا نتحادث عنها مع من يليق ان يشترك فيها فجمعنا تسعة عشر نفرًا وفاتحنا في الامر حضرة الشماس

١) راجع ترجمته فيما بعد .

٢) كان الدير في خان البنادقة الحالي في حلب وفيه توجد الى يومنا الكنيسة في الطابق العلوي القبلي ثم تحوّلت في القرن التاسع عشر من مقام العبادة الى محل السكنى بعد ما اجلى عنها الآباء اليسوعيون وخلفاؤهم الاباء اللعازريون .

كيورك اراكيل رئيس اخوية حماية الايمان وكان ذلك في اول تموز سنة ١٧٥٢[1].

فاعجب بمشروعنا وساعدنا عليه فاجتمعنا في دير الرهبان اليسوعيين لاول مرة في السابع والعشرين من شهر تموز بحضور ابينا الرئيس العام المذكور فصلينا الصلاة التي يقوم بها اعضاء اخوية حماية الايمان وكان عددهم ينيف عن الثمانين وكنا بينهم فبيّن لهم الاب الرئيس العام مقصدنا من انشاء الاخوية الجديدة فوافقوا على رأيه وحرروا اساميا في سجل وقائهم على ان يكون لنا رئيسنا المنتخب بيننا ونتمتع بحق قبول كل من رأيناه لائقاً الدخول في مصافنا.

واليك اسامي الاخوة المؤسسين[2]:

يوسف كركور فرا
نعمة الله داود شاه
وانيس كركور فرا
ميخائيل ميناس مانوك
نعمة الله ميناس مانوك
بغدسار خجدور
الياس كيورك اراكيل
يوسف اروتين كركه
حنا يوسف صاصوني
يوسف سليمان داود شاه
توريجان خجدور
انطون خجدور
ميخائيل خجدور

---

١) اخوية انتشار الايمان سنذكرها بين سائر الاخويات وكان اعضاؤها مشتركين بغيرها كما هو الجاري في يومنا اذ ينتسب بعضهم الى عدة اخويات او مشاريع خيرية. راجع المشرق ١٦ ، ٢٤٥ ومقال الاب جرجس منش.

٢) كانوا ، على ما يظهر ، كلهم من كاثوليك الارمن وسينضم اليهم رجال من سائر الطوائف الكاثوليكية.

قازار كركور

حنا جرجس بازرجي

بيدروس سماهون

انطون سماهون بزديك

يوسف كبيد شاشاتي

بطرس خجدور قديد

وقد استقمنا نحن الانفار المذكورين مقيمين في سمينا على قدم الثبات مدة عشرة اشهر في التجربة حتى حفظنا الشروط بتمامها الّا ان خمسة منا تركوا الاخوية واثنين سافرا قاصدين الترهب وهما نعمةالله داود شاه في فرنسة في رهبانية الكبوجيين وحنا يوسف صاصوني في دير المخلص الكريم للارمن في كسروان تحت رئاسة القس لوقا العينتابي[١]

ولما رأينا كثرة الاشغال المتراكمة على حضرة الاب الرئيس البادري فرنسيس ولا يمكنه ان يتفرغ لارشادنا والارشاد لا بد منه[٢] في الاخوية طلبنا اليه ان يقيم لنا مرشداً البادري جبرائيل اليسوعي فرضي الرئيس واخذ الاب جبرائيل في ارشادنا وتهذيبنا الروحي ولما رأى نشاطنا وثباتنا اذن لنا بالاشتراك القانوني :

— ١٧٥٣ —

المرشد الاب جبرائيل اليسوعي

وفي هذا العام قبل البركة والختم :[٤]

---

١) هو الدير الذي اسسه البطريرك يعقوب بطرس الثاني (١٧٥٠ – ١٧٥٣) موقعه بين جونيه وبزمار بالقرب من غوسطا وتركه الارمن من بعد فاتخذه الاباء المرسلون « الكبوشيون » مقاماً لهم .

٢) الارشاد لا بد منه وهو قوام اجتماع الاخوية ومما يؤسف له في زماننا ان بعض الاخويات اخذت تستغني عن الارشاد ولكن لا تلبث ان تستغني عن المرشد فتمسي جسداً بلا روح الى ان تتضاءل وتتلاشى .

٣) جبرائيل ديزورك (Desorgues) ولد في فرنسة في ٢٦ مارس ١٧١٥ دخل الرهبانية اليسوعية في ٧ ايلول ١٧٣٣ نذر نذوره الاخيرة في حلب في ٢ شباط ١٧٥١ او ١٧٥٢ وسوف يعود الى فرنسة بعد الغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ كما سترى (راجع لوثنك : ارسالية الرهبانية اليسوعية الاولى في سورية ١٦٢٥ – ١٧٧٤ المطبعة الكاثوليكية

يوسف كركور فرا

بغدسار خجدور

وانيس كركور

جبرائيل غزول

قازار كركور

مخائيل مانوك

مخائيل خجدور

انطون خجدور

الياس كيورك اراكيل

بطرس خجدور قديد

يوسف سليمان داود شاه

جبرائيل نعمةالله خوكاز

انطون سماهون بزديك

خجدور كركور

يوسف اروتين كوركه

حنا يوسف

بيدروس مرزه خياط

يوسف تاويد

جرجي كسبار حكيم

مخائيل عزوز

انطون بوغوص

بيروت ١٩٢٥ ص ٦١).

٤) يسهب « الدفتر » في وصف رتبة دخول الاخوة الجدد فيطلبون اولاً الاشتراك بالاخوية وتعقد المشورة في امر قبولهم ثم « يكرّسون » فيأخذون البركة « والختم » اي الشهادة المرقومة بختم الاخوية وتسمى الى يومنا الباطانطا ومعناها التحرير الصادر رسمياً من هيئة منظمة (راجع لاروس في لفظة Patente) ولما كانت هذه الرتبة تترادف مرات في السنة فاكتفينا عن التكرار بذكر اسماء الاعضاء الجدد مرةً واحدةً في بدء العام وقد تكون مرجعاً لتاريخ العائلات المسيحية الحلبية واعلامها.

بواص مانوك
شكرالله خوكاز

سنة ١٧٥٤

في هذا العام قبل البركة والختم:
انطون المرقتنجي
حنا نهابيت
انطون الكاتب
وانيس فرا
انطون خجدور
شكري اروتين
يوسف توروز
حنا بازرجي
بيدروس عبد المسيح

١ نيسان : انتخبنا متقدماً للاخوية كيورك اراكيل.

٢١ نيسان : عن نصيحة الاب المرشد اخذنا بتلاوة ثلث المسبحة الوردية عربنا صلواتها واخذنا بقراءة كتاب مدخل العبادة

١١ آب : ذهب حنا نهابيت الى دير المخلص الكريم

٨ ايلول : ذهب بيدروس بن ميرزا خياط الى البندقية الى دير الاباصحبة كيورك ورتبية احد رهبان الابا[1].

---

١) دير الابا او دير الاب العام اعني به دير المخيتارين الواقع في البندقية في ايطالية في جزيرة القديس لعازر وفيه متحف من اجمل متاحف البندقية. في سنة ١٧١٥ لجأ اليه الراهب مخيتار Mekhitar (ومعناه بالارمنية المعزي) مع احد عشر من رهبانه وكانوا قد هربوا من الاضطهاد من بلاد موره في اليونان. وما ان نزلوا البندقية حتى اسسوا فيها ديرهم ورهبانيتهم وغايتها حفظ كيان الشعب الارمني في حياته الدينية والقومية. ومدرستهم في البندقية عامرة يؤمها شبان الارمن من سائر انحاء اوروبة والشرق ومنهم الحلبيون (راجع براشة Brachet : دير ومشروع المخيتارين ، الدبس: تاريخ سورية ٨ ، ٧١٩ ، والمشرق ٥ ، ٣٢ وما بعدها).

٢٠ تشرين الاول : لم نجتمع في الاسبوع الماضي لان جثة قتيل طرحت على باب الكنيسة قبل الاحد بيومين[١] .

٢٩ كانون الاول : انتخبنا متقدماً يوسف كركور فرا

سنة ١٧٥٥

١ حزيران : اجتمعنا في الديواخانة[٢] مكان الروم لانهم انتقلوا الى قلايتهم واشار علينا الاب جبرائيل والاب الرئيس بان نجتمع دائماً في هذا المكان مرةً نحن ومرةً اخوتنا الموارنة لانهم انفرزوا من الروم وصار لهم اخوية جديدة . وفي هذا اليوم ابتدأنا بخدمة الميتة الصالحة ورتبنا ان تكون تلاوتها اربع مرات في السنة في الاربعة الازمنة .

١٥ حزيران : اخذنا بتدوين اسامي الاخوة الذين اشتركوا والذين ابتدأوا والذين ترهبوا والذين توفوا والذين تزوجوا والذين خرجوا والذين أُخرجوا من الاخوية .

٢٩ حزيران : قبل البركة والختم اوديس كربيد عينتابي وكان اول من قرأ فعل التعبد بالارمنية وفي ١٣ منه ارسلنا تحريراً الى رئيس الآباء اليسوعيين في رومة طالبنا فيه مرسوم تأسيس الاخوية .

مطران الموارنة

١٠ آب : ان السيد جبرائيل[٣] مطران الموارنة كان قد منع اعضاء

---

١) من القاتل ؟ ومن المقتول ؟ — لم يذكر هذا ولا ذاك . اما الباشا الحاكم فيطلب ديّة القتيل من اهل الحي ابرياء كانوا او مذنبين (راجع ما كتبناه سابقاً عن الغرامات ص [٨] ٢٥٦) لاجل ذلك لم يجتمع الاخوة لئلا يقبض عليهم ويحمّلوا تبعة الجريمة . وفي تلك السنة (١١٦٩هـ) تعاقب على حلب ثلاثة ولاة من الباشاوات فلم تكن سرعة التغييرات لتساعد على استتباب الامن وحسن السياسة وتدبير الامور .

٢) موضع الديواخانة باقٍ الى يومنا في خان البنادقة في حلب وهو الى شرقي الكنيسة مفتوح نحو الغرب . ويفهم بالروم الملكيين اجمالاً ولم تكن لهم الا ابرشية واحدة شان الارمن .

٣) المطران جبرائيل حوشب اسقف الموارنة في حلب من ١٧٣٣ — ١٧٦٣ .

اخويات الموارنة عن الاجتماع لانهم كانوا يأتون من غير اذن منه لكن لما اظهر له البادري فرنسيس المناشير الاربعة التي اصدرها البابوات والاجازة للاباء اليسوعيين باقامة الاخويات بغير مراجعة الاساقفة لم يقتنع بذلك اولاً ثم عاد فرضي على الاخويات وباركها لما رأى ما يصدر من الشر في منعها.

٧ ايلول : قررنا ان يكون التعليم المسيحي للاولاد الصغار في بيت القس انطون الارمني[1].

٥ تشرين الاول : ابتدأنا في تبليط بيت الاخوية.

سنة ١٧٥٦

٤ نيسان : كانت نهاية العمار والبلاط والنجارة وما يلي ذلك من التزريق المختص في مكان اجتماع الاخوية اي في الديوانخانة مع الطبقة التي هي مكتبة هذه الاخوية.

٢ ايار : وبّخ الاب المرشد الاخوة الداعين الى اتباع الطقس اللاتيني من دون اذن.

تم تبليط بيت الاخوية ورفع السماطات[2] ونجارة الخوانات ووضع كرسي المرشد ونجارة الشبابيك ووضع الكراسي وسترة الشبابيك وما يتعلق بذلك وقد قضينا سنة كاملة في هذه الاعمال.

واتفقنا على ان يجتمع عزبان الموارنة قبل الظهر ومن بعدهم مزوجوهم ونحن يكون لنا احد خصوصي لجمعيتنا وبلغ ثمن النفقات في ذلك ستماية غرش وقد دفعنا نحن الثلث منه والموارنة الثلث الثاني وتقرر ان لا احد

---

١) يصير التعليم المسيحي كل يوم احد عند الظهر للاولاد الصغار وخاصةً للفقراء في حلب . ويكون المعلمون فيه من ابناء الاخوية يرئسهم احد الكهنة الافاضل المعيّنين من المطارين لهذه المهمة . فترى ان جمعية التعليم المسيحي قديمة في حلب ولم تزل مزدهرة فيها الى يومنا ويجتمع الاولاد في الكنائس او في جوارها وكانوا سابقاً يجتمعون في احد البيوت كما ذكر في الدفتر.

٢) السماطات – كالمصاطب على اطراف البيت تصلح لوضع الاشياء من احذية وغيرها.

يذهب الى البستان[١] بدون اخذ اجازة من المرشد والمتقدم ولا احد يسهر عند الناس بلا اخذ اجازة وفي هذا اليوم سألنا عن معلمي اعترافات[٢] الاخوة جميعهم.

١٣ حزيران : في هذا اليوم السريان افترقوا عن الروم وعملوا انتخابهم.

٢٧ حزيران : قبلنا انطون برغوص وقد عاد من مالطة بعد ان تداوى من وجعة الحصبة.

قضية الصوم

٨ آب : ان سيدنا البطريرك مخائيل[٣] بطرس الثالث لما بلغه ان اهل حلب مبلبلون لعدم معرفتهم ترتيب الصيامات[٤] والاعياد المفروضة وقد انقسموا اقساماً منهم من اتبع اللاتين ومنهم من اتبع الروم ومنهم الموارنة ومنهم السريان وفي هذا ارسل غبطته في ١٠ حزيران ترتيب الطقس الارمني وحلّل لنا ثلاثة اسابيع من اصوام الارمن وهي اسبوع سركيس واسبوع اسناك واسبوع سورب نيشان ولاشى الاسبوع الاول المنسوب الى الروح القدس والصوم المنسوب الى الملائكة وامرنا بصوم النطاس خمسة ايام لا غير وان نعيد ميلاد يوحنا وميلاد مخلصنا والختانة ودخول ربنا للهيكل والبشارة على حساب الشرقيين والباقي من الرتب على موجب طقس اللاتين واطاع الجميع الا تابعي الطقس اللاتيني وانقست الرهبانيات في امرهم فحكم

---

١) سنخصص فيما بعد فصلًا للملاهي في حلب.

٢) ستجد فيما بعد لائحة باسماء اعضاء الاخوية ومرتّبهم في اخوية القربان . وان قضية انتخاب معلم الاعتراف والثبات في استرشاده مما يوصي به معلمو الحياة الروحية ومما يدلّ على التدين الحار وقد امتاز به الحلبيون.

٣) مخائيل كسباريان ١٧٥٣ - ١٧٨٠ رقي الى السدة البطريركية لبضعة اشهر بعد سيامته الاسقفية فتولى شؤون ابرشية حلب بواسطة نوابه.

٤) راجع في امر الصيامات العمود ١٢٨ من المجلد الاول في قاموس اللاهوت الكاثوليكي في مقال الاب تورنبيز وراجع بحث تونديني في الكلندار الارمني. جمعة سركيس تقع في الاسبوع الثاني قبل الصوم الكبير وجمعة اسناك في الاسبوع الواقع بين ١٥ و٢١ تشرين الثاني وجمعة سورب نيشان هي اسبوع عيد الصليب. اما صوم الروح القدس فيقع في الاسبوع قبل العنصرة وصوم الملائكة في الاسبوع الثامن بعد انتقال السيدة الى السماء.

الاباء الفرنسيسكان بتخطئة من يترك الطقس اللاتيني ولم يوافق غيرهم من الرهبان على الامر وردوا على الورقة التي قرأها الاباء الفرنسيسكان في كنيستهم في ١ آب وانقسم الاخوة في الرأي ومن الذين اصروا على اتباع الطقس اللاتيني يوسف كبيد شاشاتي وانطون سماهون بزديك.

طائفة الروم الكاثوليك

٢ كانون الاول : حدث خوف بسبب الفرمان بخصوص كنيسة الروم ونفي المطران مكسيموس[1] الى قلعة ادنه فامتنعنا مدة اسبوعين عن حضور الاخوية.

---

١) الى هذا العهد يرقى الانفصال الرسمي بين الملكيين الكاثوليك وغير الكاثوليك في حلب (راجع شارون : حلب في القاموس التاريخي الكنائسي عمود ١٠٥) اما المطران فهو مكسيموس حكيم فكان قد سيم اسقفاً على الروم الكاثوليك في حلب سنة ١٧٣٢ ثم الجئ الى الابتعاد عنها لكنه كان يتردد على البلد.

واننا في دار اسقفية الروم في حلب وبواسطة المرحوم الخوري جرجس سالم اطلعنا على دفتر سجلت فيه بعض الاخبار مع تاريخ سيامة الكهنة ونروي ما اخذناه عنه في مناسبة ذكر المطران مكسيموس :

« دفتر مبارك يختص بتاريخ اكليروس كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية بمدينة حلب المرتسمين في درجات الكهنوتية المقدسة بانتخاب الكهنة ورضى الشعب حسب رسوم القوانين البيعية في الكنيسة المذكورة على مذابحها المقدسة. يكتتب فيه اسم الرئيس الراسم والشخص المرتسم والدرجة التي ارتسم فيها. واليوم الذي اقتبل فيه وسماً روحياً لا ينمحي ابداً. مع بيان اسم الشهر والسنة الكائنة فيها الرسامة الظاهرة الاحتفالية. مبدوًا به من عهد رياسة الاب المفضل المطران كير مكسيموس الحلبي الكلي الاحترام وذلك في ١٧٣٢ مسيحية الف وسبماية واثنين وثلثين.

يوحنا ابن دياب قساً	(مكسيموس)	١٦ ايار	١٧٣٢
قسطنطين بن توما قساً	″	٢١ ايار	١٧٣٢
نعمة الله القاري شماس انجيلي	″	٢٨ ايار	١٧٣٢
القندلفت بن سمعان السمان قس	″	٢٤ حزيران	١٧٣٢
لاونديوس ابن المقدسي ديمتري سالم شماس انجيلي	″	٩ تموز	١٧٣٢
حنا عفريت قس	″	٢٠ تموز	١٧٣٢
جرمانوس بن عازار من بيت اصلان الجوخجي قس	″	١٧ ك ١	١٧٣٢

٢٠ كانون الاول : لم نصد القربان المقدس لشدة البرد الذي لم يحدث مثله في حلب منذ سنين عديدة وكان يسودنا الخوف من تهداد الحاكم الذين

نعمة الله يوسف الفاري قس	(مكسيموس) ١٤ ك ٢	١٧٣٣
سمعان ابن الخوري سليمان قس	« ٢١ ك ٢	١٧٣٣
جبرائيل بن عبد النور الطبيب قس	« ٢٢ ك ٢	١٧٣٣
ميخائيل قسطنطين جربوع قس	« ٢ شباط	١٧٣٣
جرجس ابن حنانيا صاجاتي قس	« ٤ شباط	١٧٣٣

اعلم ان في هذا الزمان ورد على المطران كير مكسيموس المذكور خبر محزن مهول (وهو على ما يظهر اعتناق اخيه منصور الدين الاسلامي تسعة اشهر بعد سيامة مكسيموس اسقفاً . راجع تفصيل ذلك في مجلة الشرق المسيحي الافرنسية مجلد ٩ ، ص ٢٦) فاضطر لاجله ان يتحول عن كرسيه مدة ما حكمة وسياسة ولذلك سافر الى جبل كسروان متردداً في تلك الديورة العامرة ما بين اخوته الرهبان الانقياء القانونيين . وفي هذه الغيبة الف وارسل الى الاكليروس والشعب رسائله المشهورة التي كان يعزيهم بها ويشددهم على احتمال الاضطهادات الشاقة التي اوردها عليهم الرؤساء الشاقون وفيها الف كتابه المعروف بمنهاج التوبة ومدة غيبته هذه كانت ينيف عن ثلاث سنين لان ذهابه كان في اليوم العشرين من شهر شباط ١٧٣٣ وايابه كان في اليوم السادس عشر من شهر نيسان ١٧٣٦ ثم رسم ايضاً كهنة وشمامسة مصنفين كما سياتي ذكر اسمائهم متتابعاً :

يعقوب عطاالله بسليس قس	٢٧ حزيران	١٧٣٦
نصرالله بن سمعان الصباغ ابن الخوري فرجالله قس	١٨ تموز	١٧٣٦
نعمةالله ابن الخوري جرجس مصلي خوري	١ آب	١٧٣٦
مخائيل بن قسطنطين جربوع خوري	٦ آب	١٧٣٦
ابراهيم ابن بولص داود قس	٢٦ ايلول	١٧٣٦
رزقالله جرجس من بيت قصير الذيل قس	٢٦ حزيران	١٧٣٩
زخريا ابن يوسف من بيت عفريت قس	١٦ ايلول	١٧٣٩
الياس عبدالله من بيت ابو زيد طارل قس	١ ت ١	١٧٣٩
جبرائيل بن فضول ارقش قس	١٦ شباط	١٧٤٠
جرجس ابن عيسى الشاطي قس	١٠ تموز	١٧٤٣
الشماس لاوندیوس الانجيلي ابن ديمتري سالم سيم من المطران مكسيموس قساً له في	١٣ من ت ٢	١٧٤٣
مخائيل شكرالله المصلي قس	٢٧ ك ٢	١٧٤٥
الياس ابراهيم الحمصي قس	٢٧ ت ٢	١٧٥٤
يوحنا الخوري بولس قس	٤ ك ١	١٧٥٤
يوسف قسطنطين زرزور قس	٢٧ ت ٢	١٧٥٥

يصلون عند الافرنج[1].

٢٦ كانون الاول : المتقدم انطون خجدور شاكر خاف يوسف كركور فرا الذي تام بوظيفته اربع سنوات وعلى ايامه بلغ عدد الاخوة الخمسين وستة منهم دخلوا الرهبانيات وكان ذلك بسعيه.

وفي هذا العام قبل البركة والختم ميكائيل خجدور شاشاتي ، انطون سركيس زادوك ، يوسف كرابيد شاشاتي ، جرجس برغوص الحائك ، جرجس وانيس ،جرجس خجدور صائغ.

الاحتفال بالمناشير سنة ١٧٥٧

٢١ ايار : وصل منشور تثبيت الاخوية مع ثلاث صور من رومة.

٣٠ ايار : احتفلنا بقدوم المناشير والصور احتفالا عجيباً لا بكثرة الناس الذين حضروه فقط ولكن بما ظهر فيه من التقوى والنظام ايضاً

عبد المسيح جريج قس	١٤ ك ١	١٧٥٥
يوحنا نعمة‌الله طنبه قس.	٨ تموز	١٧٥٦
ميخائيل زكريا صاجاتي قس	٥ آب	١٧٥٦

وقد يأخذنا العجب لتواتر حفلات السيامات الكهنوتية خلال الاشهر المعدودة بينما كان بوسع الاسقف ان يدغمها كلها في حفلة واحدة ولعل السبب في ذلك نظام الخدمة الرعوية في ذلك العهد اذ لم يكن للكهنة الروم الكاثوليك كنيسة كبيرة خاصة بهم وكان الكهنة يضطرون الى اقامة الذبيحة الالهية في البيوت وكانوا يعتنون بشؤون تلك البيوت الروحية فيسمعون الاعترافات مصرّفين كل منهم في خدمة عدد معروف من العائلات دون سواها مما جعل المطران يحتفل بسيامة كل كاهن من الكهنة الجدد بحفلة مختصة به . اما العادة التي كان الكاهن بموجبها لا يسمع الا اعترافات « زبائنه » فظلت جارية في حلب الى ان الغاها المطران ديمتريوس القاضي الذي ترأس الابرشية في ٢٣ ت ٢ ١٩٠٣.

١) اقهم بالافرنج المرسلين اللاتين ولهم كنائسهم مفتوحة لمن يدخلها للصلاة والعبادة وسبب منع الشرقيين عن دخولها هي الحجة الواهية بانهم يبرهنون بذلك عن خضوعهم لسلطة دينية « اجنبية » اي الحبر الاعظم الروماني اقول ان الحجة واهية لان الحبر الروماني مع سلطته المطلقة الروحية لا يحول دون خضوع ابناء البلاد الى سلاطينهم الشرعي الخضوع الواجب لكنه يحرضهم على ذلك طبقاً لكلام الانجيل اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وسوف نرى في اخبار « الدفتر » ما يثبت قولنا اذا تكلمنا عن بمثة السلطان للبابا (راجع فيما بعد ١٧٨٧ ١ ك ٢).

لقد كنا منذ ستة اشهر وينيف ننتظر مع اخوية عزبان الموارنة واخوية مزوجيهم المناشير لتثبيت اخويتنا واخوياتهم وثلاث صور كبار مختصات بتلك الاخويات وكانت قد عرقت في مدينة قدس بسبب الحرب لئلا يأخذها الانكليز فلما وصلت اتفقنا على ان نحتفل بقدومها ونقيم صلوات الشكر لذلك وكان مرشدونا يمانعون باقامة تلك الحفلة خوفاً مما يسببه من القلق اجتماع ثلاث اخويات وبسبب ضيقة كنيستهم التي لا تكاد تسع مئة نفر لكن الاخوة اقنعوا المرشدين بالقبول لان الزمان كان في حكم اسعد باشا ابن العظم[١] وسعوا في فتح ممشى السدير موضعاً واسعاً للجمهور وتمت زينة المكان على هذا الطراز:

اقمنا في صدره مذبحاً عالياً فوقه الصور الثلاث المذكورات الكبيرة في الوسط هي تطهير العذراء المختصة بزوجي الموارنة وعن يمينها صورة انتقال العذراء المختصة بعزبان الطائفة المتقدم ذكرها وعن الشمال صورة الحبل بلا دنس المختصة باخويتنا وهذه الصور الثلاث المصورة بيد معلم ماهر جميلة للغاية وكانت تحرك القلوب محبةً نحو العذراء. وفي وسط المذبح المذكور وضعنا بيت القربان ونقول بالاختصار ان الزينة بكثرة الشموع والمرايا كانت منظمة بنوع مدهش العقل وكان المكان موشحاً بالاقمشة الثمينة في الحيطان والسقف اما زينة النفوس بالتقوى والعبادة فكانت تفوق جداً زينة المكان فاعترف الاخوة اكثرهم في اليوم السابق لكي لا يصير سماع اعترافهم مانعاً لابتداء الاحتفال في الساعة المعينة يوم العيد وفيما كان الاب الرئيس يرتدي ثياب القداس كان الشماس نعمة خوكاز يرتل الصلاة الى الروح القدس بصوت شجي ثم خرج شماسان متوشحان بالبدلة وبيد كل منها شمعدان وفيه شمعة موقدة وفي وسطهم يازجي الاخوية وهو الشماس ابن المقدسي غزول عقاد[٢]

١) مؤسس دار آل العظم وهي اليوم مقام المؤسسة الفرنسية في دمشق . راجع ما قاله عن اسعد باشا السيد سوفاجه في كتابه عن حلب (رقم ٢٠٩ مكرر) فقد عرف الحلبيون جميله وماجوا محتجين لما تحول عن مدينتهم الى مصر.

٢) غزول عقاد — لقب بالمقدسي لانه زار القدس . ويكون هو محرر دفتر اخوية العزبان الذي ننشر عنه هذه الاخبار.

وفي يده صورة منشور اخويتنا المترجم الى اللغة العربية فقرأ المنشور ووجهه الى الشعب المنتصب على الاقدام لاستماع القراءة بكل اصغاء واحتشام وفرح وكان الجمهور محتشداً حتى كاد الناس يطأون بعضهم بعضاً وقد يبلغ عددهم نحو الالف نفر ثم تلا خجدور شاكر متقدم اخويتنا فعل التعبد وكذلك بعده متقدم مزوجي ثم متقدم عزبان الموارنة. وبعد القداس والشكر خرج الناس والكثيرون منهم دعوا الى مائدة عظيمة كانت قد اعدت لهم وقال الذين عهد اليهم بتقدمة القهوة[1] انهم سقوا ستماية فنجان قهوة وبعد قيام الاخوة من المائدة دخل اعضاء اخويات العزبان والمزوّجين من الروم والسريان ومزوّجي اخويتنا وباركوا لنا ففرحنا فرحاً عظيماً واضفناهم بكل اكرام وواجب.

وفي غضونها كان كهنة الارمن والسريان يقدسون بالتتابع امام القربان المصمود حتى صار نصف النهار وبعد انتهاء القداسات دخل الكهنة المذكورون وباركوا لنا ثم تناولوا طعام الغذاء عند آبائنا اليسوعيين المكرّمين وقد هيأوا لهم وليمة مكلفة بالمحبة.

وبعد القداسات نظمنا مع سائر الاخويات تناوب السجود امام القربان المقدس فكنا نقضي نصف ساعة السجود عشرين عشرين الى المساء. وعند الساعة الرابعة زوالية جلس البادري جبرائيل اليسوعي على كرسي عالٍ في جانب المذبح والقى عظة موضوعها شرف الاخوية ثم رتلنا في الزياح الصلوات بالارمني واللاتيني والعربي وكل منا انصرف الى سبيله وكل ذلك تم برئاسة الاب المحترم فرنسيس فرديننذ كويست وسعي مرشدنا الاب المكرم البادري جبرائيل اجزل الله ثوابهما ونفعنا ببركاتهما آمين.

الحوادث المكدرة

١١ كانون الاول : لم نجتمع منذ ثمانية وعشرين يوماً لما صدر من

---

١) عادة تقديم القهوة او غير ذلك من حلوى او من مرطبات لاتزال جارية الى يومنا في اعياد الاخويات في حلب.

الحوادث المكدرة[١] في مدينتنا : الغلاء والكساد وقلة الاشغال وجور الحكام والخسائر التي حلّت بالمسيحيين وحبس بعضهم واغلاق الكنائس من سائر الطوائف وسجن بعض المطارين[٢] فتفرق اعضاء الاخوية وتشتتوا بين مدينة ومدينة ومع ذلك دعانا الاب المرشد الى الاستعداد لعيد الاخوية .

٢٠ كانون الاول : احتفلنا بالعيد وفي ٢٥ منه انتخبنا يوسف فرا متقدماً .

سنة ١٧٥٨

٢٢ كانون الثاني : جرجي حائك عمل ليلية[٣] ودعا اليها خمسة انفار من الاخوة وكذب عليهم قائلاً انه اخذ اجازة المتقدم لذلك فخف ذنب المضافين اما الاب المرشد فوبخ الجميع ووضع قصاصاً على صاحب الوليمة بان يركع امام العامود الى نهاية الجلسة فظل راكعاً ساعةً واحدةً وامر الاب المرشد الّا احد ينام خارج بيته .

٢٨ ايار : سافر احد الاخوة الى قرية بيروت وجاء احد الاباء اليسوعيين من بغداد ثم سافر الى نواحي الجبل جبرائيل عقاد المساعد الثاني وله اتعاب وافرة على الاخوية .

---

١) راجع تفاصيلها في « نهر الذهب » لكامل الغزي ٣ ، ص ٢٠٠ و٢٠١ وما كتبه سوفاجه في مؤلفه المذكور ص ١٩٢ وما بعدها ولا منس في كتابه : سورية ٢ ، ص٦٢ و٦٤ .

٢) راجع ما جاء في المشرق سابقاً ص [١٧] ٢٦٥ وراجع المجلة البطريركية للخوري بولس قرألي ٥ ، ١١٢ و١١٣ ترَ ان من حبس من المطارين كان جبرائيل حوشب الماروني ومكسيموس حكيم الملكي الكاثوليكي .

٣) الليلية في اصطلاح الحلبيين هي الليلة التي يقضيها الناس ساهرين يتلهون بالغناء والرقص وقد يظهر بعضهم فيها متنكرًا بالماخر (Masque) مما يدعو الى الالتباس بامر الاشخاص ومعرفة هويتهم والى ما يتأتى عن ذلك من المكرهات . وان قانون الاخوية في ذلك العهد حرم تلك الحفلات ما لم يؤخذ الاذن في حضورها من الاب المرشد وهذا كان ينهى عنها ما لم يتأكد انها لا تسفر عن شر (راجع كتابنا : وثائق تاريخية عن حلب ١ ، ٢١٦ ، ١٢١) .

وربما استدعي الى السهرة صاحب كركوز او الخيالاتي فيضرب خيمته في البيت وعليها الشاشة البيضاء ومن ورائها يوقد السراج ويلعب المثلين وسوف نأتي على ذلك في الكلام عن الملاهي في حلب .

٣ ايلول : ارسل مطران الروم[1] وختم بيوت جميع الكهنة الروم الكاثوليك وبيوت بعض من العلمانيين وقبل ذلك اظهر البطرك كابريل[2] والمطران كابيك الارمنيان فرماناً لنفي اربعة انفار اثنين كهنة :دير بيدروس كاناج ودير انطون غزول واثنين من العلمانيين : كيورك فرا (المتوفى حديثاً) والمقدسي اوهان خياط ومسكوا دير انطون غزول ومقدسي اوهان خياط وحبسوهما عند محمد آغا ابن كجك علي[3] آغا المتسلم الحكم في هذا العصر بعد ان قدموا عليها شهود زور من كهنتهم واعوامهم بانهما افرنجيان ،فمذان واجب نفيهما من هذه المدينة الى قلعة ارواد والحبسا ثلاثة عشر يوماً وتكلفنا على اطلاقهما نحو اربعمائة غرش .

١٥ تشرين الاول : سافر جبرائيل خوكاز وكرابيد دادور الى كسروان تغييراً للهواء .

١٢ تشرين الثاني : تعافى حضرة الاب فرنسيس من مرض الحمى .

سنة ١٧٥٩

٩ كانون الاول : اخذ الختم والبركة اوديس كيورك تابع خواجه كوزين[4] الفرنساوي ويوسف نعمةالله خوكاز .

---

١) هو مطران الروم الارثوذكس فيليمون اقامه البطريرك القسطنطيني اسقفاً على حلب في شهر تشرين الثاني ١٧٥٧ .

٢) هو جبرائيل كاثوليكوس قيليقية من سنة ١٧٥٨ الى ١٧٧٠ وكان قد سبقه اخواه الاثنان وجلسا على السدة البطريركية الارمنية الغريغورية وسيخلفه عليها ابن اخيه .

٣) محمد بن كوجك علي المتوفى سنة ١١١٢هـ ١٧٧٨م جاءت ترجمته مختصرة في كتاب اعلام النبلاء للشيخ راغب الطباخ ٧ : ١٠١ كان احد « القبوجي باشيه » بالباب العالي وكان « صدر اعيان حلب ورؤسائها » فلا عجب ان يقضي ويمضي في ذلك عهد الفوضى كما وصفه المؤرخون .

٤) Cousin احد التجار الفرنسيين .

سنة ١٦٧٠

١٥ ايار : كنا حزينين لان القناصل اغلقت دوائرها خوفاً من الوبا[١] ربنا يدفعه عنا.

الكهنة الاربعة

٢١ حزيران : عيد القديس غريغوريوس جرى احتفال عظيم بحضور كهنة الطوائف والاخويات في كنيسة ودير الاباء اليسوعيين في غضونها اعتنق الايمان الكاثوليكي اربعة من كهنة الارمن : دير بغيازار ودير كبيد ودير موسيس سماهون ودير يغيا[٢].

٢٢ حزيران : طلب مطران الارمن يوسف فرا متقدم الاخوية واثنين من اعيان الطائفة وخاصهم فسألوه الا يصدر منه ضرر بحق الكاثوليك.

٣ آب : كان عددنا قليلاً بسبب رائحة الوبا في مدينتنا ومن اجله اختبأ الاباء اليسوعيون[٣] وايضاً من جراء ما صار لنا من قبل مطراننا كبرييل ورتبيت المتولي فانه غضب ومضى الى الحاكم بعد ان كان ترابط معه واشتكى علينا. في ٢٩ حزيران جاءه طلب الحاكم فذهب اليه واخذ معه رجلاً من طرفنا فطلب الحاكم الكهنة الاربعة الذين اعتنقوا الايمان الكاثوليكي فاخذ المطران يعتذر ويقول انه لا يعرفهم وليس له غرض فيهم وكان ذلك تظاهراً امام الذي

---

١) الوبا او الكوليرا في ايامه كان الافرنج يخرجون من المدينة ويقطنون في حي الكتّاب وهناك بنى الآباء الفرنسيسكان كنيسة على اسم القديس انطونيوس البادواني.

٢) راجع مقال الاب تورنبيز في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي في مادة حلب Alep عمود ١٢٧.

٣) من الفطنة الا يمرض اهل الدير لخطر الهواء الاصفر لئلا يؤدي الامر الى اغلاق الدير والكنيسة ومنع المؤمنين عن دخولها . . . لكن الاب الرئيس الذي امر المرؤوسين في الدير الا يخرجوا منه عرّض نفسه للخطر وذهب يعود المرضى ويزودهم بالاسرار المقدسة وسوف يأمره الرؤساء بالاحتجاب ولكن قد يكون تسرب اليه المرض فيموت ضحية تفانيه كما سترى.

معه منا لكي لا نعرف انه هو المشتكي علينا فامهله الحاكم الى ان يحصل له اسماء الكهنة المذكورين . فعاد المطران وجمع اعيان طائفتنا وسألهم رأيهم وكانت غايته ان يضرنا من غير ان نعلم ان الضرر منه فاجابه الاعيان ما لنا وللحاكم اعطه الجواب من طرفك فاذا طلبنا فسوف نوافيه بالجواب عن ذاتنا. وطالت الجلسة خمس ساعات فلم يأخذ المطران النتيجة فصرفهم.

وفي اليوم التالي والايام التي بعده كان يستدعي اثنين او ثلاثة من الشعب ليستجوبهم فيأتون جمهوراً ويعطونه الجواب السابق وكان قصده التفريق بيننا لكي يستطيع الغدر بالكهنة الاربعة المذكورين واخيراً يوم الخميس ثالث تموز ارسل طلبنا فذهبنا جمهوراً حسب كل يوم وواجهنا المطران واذ نحن بالكلام معه اتى رجل من قبل الحاكم وطلبه فاشار المطران خفية الى الرجل بان يأخذ معه ثلاثة انفار منا وهم : كركور فرا وسماهون مانوك قزاز ومانوك عيواظ خياط وامره ايضاً ان يأخذ اراكيل الوكيل الارتوقي وذلك لانه رآه متحداً معنا فذهبنا اجمعين الى السرايا فدخل المطران الى الحاكم وبصحبته المطران القديم مساعداً له وهو بيدروس ورتبيت ابن مقصود الحلبي وبتدبير الهي انحبس الاثنان وبقينا كلنا محبوسين هما في مكان ونحن في مكان ومعنا اراكيل الوكيل وبقينا في الحبس سبعة ايام وفي اليوم العاشر من تموز بتدبير الهي مع سعي المحبوسين طلعنا منصورين بعطا قليل من غير ان يصير علينا سمعة عطي واستقام المطرانان في الحبس لان الحاكم مسك على كل واحد منهما علة شرعية وحبسه عليها واخيراً كل واحد منهما اعطى جرماً وحده وطلع ونحن انتصرنا عليهما ودار الكهنة الاربعة من بعد ان استقاموا مخبئين اربعين يوماً . نسأله تعالى ان يثبتهم في الايمان ويعطيهم الصبر على الاضطهاد.

٧ آب : كان الكهنة دايرين من غير خوف وكنا فرحين لاجل ارتفاع الوبا عنا ولاجل ارتفاع شر الاراطقة وانصرفنا بسلام اما هؤلاء فكانوا تهددونا بفرمان تسركل ونحن لا نبالي بكلامهم متكلين على الذي خلصنا سابقاً .

فرمان التسركل

٢٨ ايلول : جاء من اسطنبول جوخدار[1] ، خوزين ومعه فرمان تسركل وبعد غروب الشمس اخبر يوسف فرا متقدم الاخويتين ان اتى فرمان تسركل في بعض انفار الارمن الكاثوليكيين وكان الاراطقة اخبأوا امره لئلا ينهزم الانفار الذين جاء الفرمان ضدهم فارسل يوسف فرا واعلم الكهنة القدماء والحديثين بامر الفرمان ووجههم الى بيوت التراجمين الافرنج.

وما اشرق عليهم الصباح الا وكل واحد كان في مكانه ولما انتصف النهار ارسل الاراطقة واستدعوا يوسف فرا فذهب اليهم بصحبة انطون قزاز فاراد الاراطقة ان يسلموها الى الحاكم مكرًا فاترب خلصها وعرف يوسف فرا انه تحت الطلب فذهب الى دير الاباء اليسوعيين واقام اخاه محله فلما حضر الجوخدار والتفنكجية اخذوا وانيس فرا عوضاً عن اخيه يوسف ومضوا في طلب مقدسي عيواظ خياط فهرب من بين ايديهم ودخل المحكمة واختفى فيها فاخذوا عوضه ابنه عبدالله واخذوا ايضاً اراكيل الوكيل واجبروا البكجي[2] ، فسأل وانيس عن اخيه يوسف وعبدالله عن ابيه عيواظ واراكيل عن الكهنة الاربعة فقالوا لا نعلم اين هم فسجنوا في قناق[3] التفنكجي باشي وظلوا محبوسين عشرة ايام واستقام يوسف فرا في دير ابهاتنا اليسوعية واتاه المقدسي عيواظ وصار اعيان الطائفة يأتونهم خفية ويتشاورون واياهم في تدبير الامور فتحققوا ان الفرمان صدر ضد الستة انفار الذين طلبهم الحاكم لا غير فهدأ بال اعيان الطائفة وكانوا خافوا لئلا ينالهم الفرمان وكانوا يقتصرون عن التردد الى الازقة الى ان تحققوا الامر.

١٤ ايلول : لم نجتمع لكي لا نلفت الانظار ولا يعلم الناس بوجود يوسف فرا والمقدسي عيواظ في الدير وكان الاراطقة وضعوا نواطير عند باب

١) جوخدار او جوقة دار ، راجع المشرق سابقاً ص [١٢] ٦٠ حاشية ١ .
٢) البكجي هو الحارس او البواب.
٣) قناق اي المحطة . وايضاً المنزل الواسع .

الخان لظنهم ان احدهما يخرج فيقبضوا عليه ويجبروه وقد جسروا ليلاً كيورك فرا الى ان جاء ترجمان البندقي لانه كان تابعاً لقنصل البنادقة وخلصه. وصاروا يلتمسون السبيل الى مصالحة المطرانين ولم يوفقوا الى ذلك فخرج من ثم يوسف فرا من مكان خفيته في الدير ومضى الى موضع مجهول من الجميع لكي لا يثير الظنون واتخذ الاراطقة اعواناً من السرايا وفي غضونها ارسل يوسف فرا ودعا المقدسي عيواظ والكهنة الاربعة وتشاوروا فيما يعملون وفي ١٧ ايلول حدثت عوانة[١] عليهم فلما اتاهم التفنكجي باشي[٢] مع نفره وقرع الباب خرجوا حالاً لئلا يتضرر صاحب البيت ولكي لا يصير لهم اهانة فذهب ستة منهم مع التفنكجي باشي ونفره الى السرايا واعتقلوا عنده بامر الحاكم واطلق سراح المسجونين سابقاً.

١٨ ايلول : ارسل الحاكم جماعة من اتباعه واستدعى الورتبيد بيدروس والورتبيت ابن مقصود المساعد فواجها الحاكم فامرهما بان يعطيا الجوخدار الف غرش خدمة كما هو مقطوع في الفرمان وطلب خمسة آلاف غرش لتنفيذ التسركل وكلمهم بكلام صعب قائلاً انتما يستحق بكما الشنق لانكما فتحتما للدولة باب المخالفة فتراميا على اقدامه وبرطلاه بثلاثة اكياس[٣] فرضي عنهما بخمسة فاستقاما محبوسين الى ان دفعا الخمسة اكياس وعاد الورتبيد واستدعى اثني عشر من اعيان الطائفة ليتدبروا الامر ثمة وبلغ الخبر الى يوسف فرا فأرسل احد رجاله الى الاثني عشر المطلوبين من المطران ليملي عليهم الجواب الواجب تقديمه للمطران بصوت واحد ولم يوفق الرجل الا الى

---

١) العوانة ترجموها بالافرنسية بلفظة avanie وهي الغرامة . راجع مقالنا السابق ص [٨] ٢٥٦ وما بعدها .

٢) تفنكجي باشي ضابط الحرس السلطاني وهو الذي يقدم « التفنكة » اي البندقية للسلطان في الصيد وغيره . ومن امتيازاته انه كان يرافق حصان الصدر الاعظم في الاحتفالات والمواكب الرسمية (راجع دي لينان الدرر المهانية في مادة تفنكه).

اما التفنكجي باشي في حلب فله من شرف اللقب ما يرفع رتبته عند الناس سواء أحمل او لم يحمل سابقاً عبء الوظيفة المذكورة .

٣) الكيس قيمته ٥٠٠ غرش ذهباً .

مراجعة سبعة منهم ولكن بتدبير الهي كلهم ادوا الجواب الذي قرره يوسف فوا في المشورة واليك فحواه:

ارسلتَ واتيت بفرمان لتسركل ابهاتنا واخوتنا وتطلب رأينا في كيفية تتميم ما ابتدأتَ به فليكن معلوماً عندك انك سواءا اسركاتهم او ابقيتهم لن تنال منا ولا بارة واحدة وجميعنا مسافرون من هذه المدينة لنتخلص من يدك وابقَ فيها انت وجماعتك واوفوا مال الاميري الذي على الطائفة للمحصل ونحن نعلم انك سوف تعاملنا كما عاملت سائر رفاقنا ان بقينا في المدينة فخير لنا الرحيل مع عيالنا من ان تسركلنا فنتشحطط عن عيالنا وان طلبنا الحاكم فنعرف كيف نجاوبه.

عاد الخادم واخبر المطران بجواب الجماعة الاثني عشر فوقع في حيرة عظيمة وصار الحاكم يطلبه كل يومين او ثلاثة ويطالبه بالدراهم ويتهدده وينظر اليه بعين الغضب فكان يرد المبرطلون في السرايا غضب الحاكم عن المطران ولولا البرطيل لما صبر الحاكم[1].

اعضاء الاخوية في السجن

١٢ تشرين الاول : كنا حزينين جداً من سبب ابهاتنا واخوتنا منذ ستة وعشرين يوماً في غضونها راجع الورتبيت الحاكم ثلاث مرات وطلب اليه ان يقيم وكيلا لجباية الاموال من الكاثوليك فلم يرض الحاكم بذلك بل طلب من الورتبيد دراهم صاغ من يده فلم من جماعته وقبض الحاكم ثلاثة غرش.

٢٦ تشرين الاول : مضى اربعون يوماً على سجن ابهاتنا واخوتنا .

٩ تشرين الثاني : والرابع والخمسون من سجن اخوتنا وابهاتنا ونحن نتوقع الافراج عنهم لاننا كنا سبقنا وارسلناء عرض حال الى الباشا والقاضي والمحصّل شهدنا فيه بحسن حال الستة انفار وباغراض المطرانين وترجنا فيه ان لم تطلقوا سراح السجناء سيتم ضرراً للمال الاميري وكانت عروضاتنا قد

---

١) بين سنة ١٧٦٠ و ١٧٦١ تناوب ثلاثة باشاوات الحكم في حلب (راجع الغزي : نهر الذهب ٣ ، ص ٣٠٢ و٣٠٣) فلا نعرف اسم المشار اليه في دفتر الاخوية .

ارسلت صحبة الططري[1] من اتباع الباشا خفيةً وفي هذا اليوم كان مضى اربعة وعشرون يوماً على سفر الططري.

١٦ – تشرين الثاني : توفي كيورك بن مانوك القشقجي وتأهل في هذه الايام حنا يوسف صباغ فرفعنا اسمه من اخوية العزبان.

٧ – كانون الاول : اتانا فرمان اطلاق المسجونين في اليوم الاربعين من ذهاب الططري بالرغم من الفرمان السابق الذي كان يأمر الجوخدار بان يقبض على السجناء ويعتقلهم في قلعة ادنه فاطلق السجناء. وعرف الكاثوليك الامر اما الاراطقة فسمعوا به ولم يصدقوه وخرج ابهاتنا واخوتنا من الحبس بعد ان قضوا فيه ستة وثمانين يوماً واستدعى المطران الحاكم وحبسه بسبب تأخير دفع المال في السجن الذي كان فيه جماعتنا.

فحمدنا الله تعالى وشكرنا له الخيرات العظيمة التي افتقد بها كنيسته وعرّف بها المساكين القشماء من المنفصلين عنا ان لا خلاص الا في الكنيسة الحقيقية الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية التي لا تزال مضطهدة ومنتصرة وان كثيرين في هذه الازمة اعتنقوا الايمان الكاثوليكي ومنهم شماس انجيلي من كنيسة الاربعين شهيداً.

(له صلة)

---

١) الصواب التاتار من التركية وهو البريد (راجع دي مينار : الدرر العمانية في مادة تاتار.

خطط دمشق — ٤

أبنية دمشق الأثرية المسجّلة

بقلم صلاح الدين المنجّد
رئيس دائرة الآثار السورية العامة (دمشق)

١

توطئة

نقصد بكلمة « مسجلة » الابنية التي رأت دائرة الآثار القديمة ، أنها آثار جديرة بان تُحفظ ويُعنى بها .

وتسجيل هذه الابنية يقيّد اصحابها بقيود ينبغي مراعاتها .

فالجوامع ، والمساجد ، والكنائس ، والبيع ، والاديرة ، والمدارس ، والمباني الاثرية الاخرى ، التي تدخل في سجل الابنية الاثرية ، يتصرّف بها مالكوها والمتولّون عليها ، على أن تستعمل للغاية التي أنشئت من اجلها .

ومالك البناء يقوم بجميع ما يحتاج اليه من اعمال الصيانة والترميم التي ترى دائرة الآثار ضرورة لها .

ودائرة الآثار تنظم هذه الاعمال وتُشرف عليها ، لضمان الابقاء على ميزة الابنية المذكورة من الوجهتين الفنية والاثرية . ولا يحق للمالك أن يُجري في البناء الاثري المسجل ، تحويرًا ، ولا يحق له هدمه او تغيير شكله الاثري . واذا فعل فيجبر على اعادة البناء الى ما كان عليه من ماله .

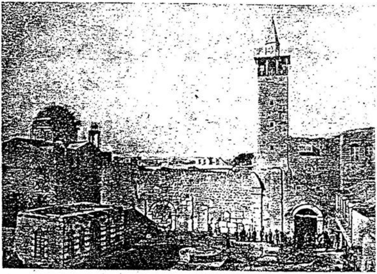
***

ونحن نقدّم هنا ابنية دمشق المسجلة ، من ايام الرومانيين الى نهاية ايام الايوبيين ، مرتبة ترتيباً تاريخياً ، بحسب تاريخ إنشائها او تجديدها .

الابنية الرومانية

١ ـ الباب الشرقي

سُمي بذلك لانه شرقي البلد . وكان يتألف من ثلاثة أبواب . باب ضخم في الوسط ، وبابان صغيران على جانبيه وقد سُدّ الباب الكبير ، والباب الصغير الذي في جنوبه ، وبقي الباب الصغير الشمالي .



الباب الشرقي ، « الابواب الثلاثة الرومانية »

بُني ايام الرومان ، في أوائل القرن الثالث الروماني .

نزل عليه خالد بن الوليد ، يوم فتح دمشق ، ودخل منه عبدالله بن علي العباسي يوم سقوط الامويين ، ونورالدين لما سقطت دمشق بيده .



الباب الشرقي بحالته الحاضرة

جده نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٩ هـ ـ ١١٦٤ م . فالمداميك التي فوق الباب هي اسلامية .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص٢٩

(١ Wulzinger et Watzinger L. 5. I. C

Sauvaget, M.H.D. p. 4

Wiet, Notes d'épigraphie, Syria VII, p. 47

Répertoire, IX, p. 35-36

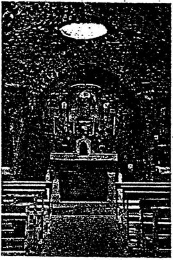
٢ ــ القناة الرومانية

قسم من القناة الرومانية القديمة . يقع في حي القنوات الذي استمد منها اسمه . بنيت قبل القرن الرابع الميلادي .

وقد كشف حديثاً قسم منها ، مهدم ، تحت بناء مطبعة الحكومة الرسمية ، فنُقل واستُعمل بعض احجارها في بناء جدار المسجد الاموي الشرقي .

انظر : WW. : B. 4. 3

Sauvaget, M.H.D, p.10



٣ ــ بيت القديس حنانيا

بالقرب من الباب الشرقي ، في نهاية درب الكنيسة المصلبة القديم . بقايا معبد ، وكنيسة بيزنطية من القرنين الثالث والخامس الميلاديين . لعلها هي الكنيسة المصلّبة التي يذكرها مؤرخو العرب .

معبد القديس بولس في بيت القديس حنانيا ←

١) سنشير فيما بعد الى هذا المصدر بحرفي WW

والقديس حنانيا هو اول اساقفة دمشق . وله دير ينسب اليه بضواحي دمشق .

انظر : W. W. : L. 3. 3.

Sauvaget, *M. H. D.* p. 10

P. J. Nasrallah, *Souvenirs de St. Paul*, p. 33 et suiv.

حبيب الزيات ، دير حننيا . في (المشرق) ٢ : ١٠٥



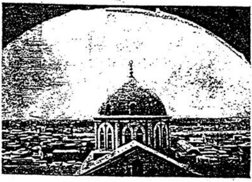
الابنية الاموية

٤ ــ الجامع الاموي

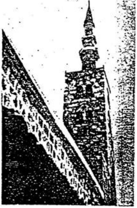
اروع ما خلفه الامويون . بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦هـ ــ ٧١٥م . في بقعة كان فيها معبد Hadad ، ثم معبد Jupiter ، ثم كنيسة القديس يوحنا المعمدان . افردنا له بحثاً خاصاً .

وهاك بعض المصادر الاجنبية والمخطوطة عنه :

Porter, *Five years in Damascus*, T. I pp. 61-77.



قبة النسر في الاموي



المئذنة الغربية في الاموي ومئذنة عيسى الشرقية

Sauvaire, *Description de Damas, dans J. As.* 1896. p. 264. note 74

Creswell, *Early muslim architecture.* T. I, pp. 101-146.

Sauvaget, *M. H. D.* pp. 12-38

Marçais, L'Art de l'Islam, pp. 24-26.

Sauvaget et Weulersse, *Damas et la Syrie Sud*, p. 23

Sauvaget, *Esquisse d'une histoire de ... Damas*, p. 447. dans R. E. J. 1934

Sauvaget, *Mosquée Omeyyade de Médine*, p. 95

Sauvaget, *Décrets Mamelouks de Syrie*, pp. 10 et 41

Van Berchem, *Notes archéologiques sur la Mosquée des Omeyyades* (B. E. O, VII-VIII)

De Lorey, *L'Hellénisme et l'Orient dans les Mosaïques de la mosquée des Omeyyades. dans Ars-Islamica* VI, 1934, pp. 22-45

Dussaud, *Le Temple de Jupiter, dans Syria III* pp. 219-250

De Lorey, *Les Mosaïques de la Mosquée des Omeyyades* dans *Monuments Piot* t. XXX.

Répertoire, T. VII, pp. 214, 215 et 217, 218.

T. VIII, pp. 80 و 81 و 120

ومن الكتب المخطوطة :

ابن عساكر : تاريخ دمشق (مخطوط في الظاهرية ، تاريخ رقم ١ مجلد ١)

ابن شاكر : عيون التواريخ ، (مخطوط في الظاهرية تاريخ رقم ٦٦) جزء خامس ورقة ١٧٣

مجهول : تاريخ مسجد دمشق . (مخطوط في الظاهرية . مجموع عام ٣٩٧٥)

ابن قاضي شهبة : تاريخ بناء دمشق ومعرفة من بناها . (مخطوط ، ظاهرية مجموع ٦٦٢٤) ورقة ٣٦ آ – ٦٥ ب .

النعيمي : تنبيه الطالب وارشاد الدارس . (مخطوط . خزانة المجمع العلمي العربي) فصل المساجد .

القاسمي : تعطير المشام في مآثر دمشق الشام (مخطوط في خزانة الاستاذ ظافر القاسمي) فصل المساجد .

الابنية الفاطمية

٥ — ضريح فاطمة بنت أحمد بن الحسين .

في مقبرة الباب الصغير . ضريح من الحجر ، عليه كتابات كوفية رائعة من الطراز الفاطمي ، فيها آية الكرسي . الكتابة تدل على أن « هـذا قبر

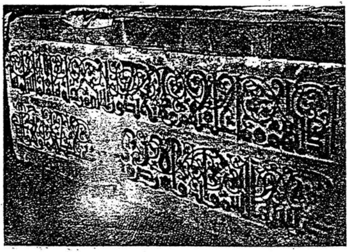
فاطمة بنت أحمد بن الحسين. توفيت رضي الله عنها سنة تسع وثلاثين واربعماية»
٤٣٩هـ-١٠٤٨م.

من قبور اهل البيت .

انظر : Sauvaget, *M. H. D.* p. 48

Répertoire, VII, p. 81

ابن الحوراني : الاشارات الى اماكن الزيارات ، (مقابر الباب الصغير) ص ١٨



قسم من قبر فاطمة بنت الحسين

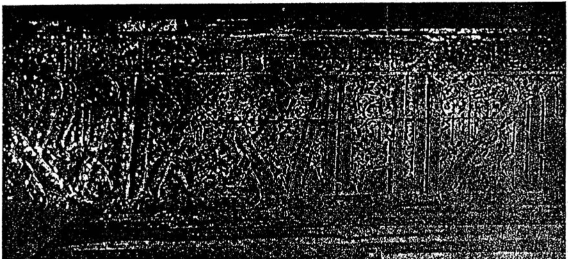
٦ ــ قبر السيدة سكينة بنت الحسين

في مقبرة الباب الصغير . ينسب الى السيدة سكينة بنت الحسين . وفي النسبة خلاف. يهبط اليه بسلم. ضريح من خشب الجوز ، عليه نقوش وزخارف غنية ، مزهرة رائعة ، على الطراز الفاطمي. في ثنايا ذلك كتابات كوفية ، فيها :

« هذا قبر سكينة بنت الحسين ، عليها السلام »

وفي الجانب الجنوبي : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً . » الآية .

حول الضريح آية الكرسي .



قطعة من ضريح سكينة

انظر : الاصبهاني ، كتاب الاغاني ١٤ : ١٧٠

ابن الحوراني ، الاشارات ص ١٨

ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ١٠٦ ، والذيل ص ٢٥٢

W. W. : E. 8. 1.

Sauvaget, *M. H. D.* p. 49

De Lorey et Wiet, *Cénotaphes .. dans Syria* t 11, p 220

Sauvaire, *Description*, (J. As Mai - Juin, 1896) p.414 note 55.

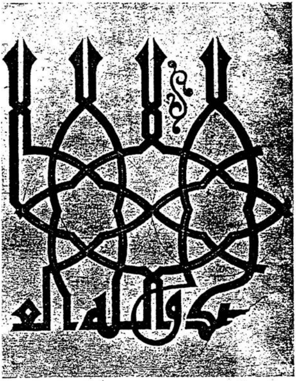
Répertoire, VIII, p. 286.

Contenau, *Nouvelle Salle d'art Musul. dans Syria III*, p. 254

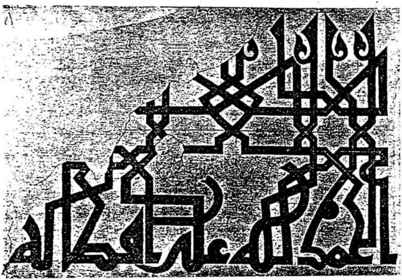
٧ـ تربة صفوة الملك

كانت مكان سينما روكسي او الاهرام، تجاه شركة الكهرباء'، فسرقت أرضها وهدمت، وزالت آثارها.

وهي الخانقاه الطواويسية. منسوبة الى شمس الملوك دقاق السلجوقي (٤٩٧ هـ) . وكان



← كتابات كوفية في قبة صفوة الملك ↓



فيها قبة تسمى قبة الطواويس ، فيها قبر الملك دقاق وأمه صفوة الملك . (توفيت سنة ٥١٣ هـ)

كان في القبة كتابات كوفية ، وزخارف جصية رائعة .
وكان هذا البناء ، الوحيد الذي تركه السلاجقة بدمشق .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس (تحقيق المنجد) ص ١٤٧
القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١
Sauvaget, *M. H. D*, p. 49
W. W. : D W. 6
Sauvaget et Ecochard, *M. A. D.*, T. I, p. 49. 1-13.
(نسبها خطأ للظاهرية) Répertoire, T. VIII, p. 86.

٨ ــ مسجد القدم

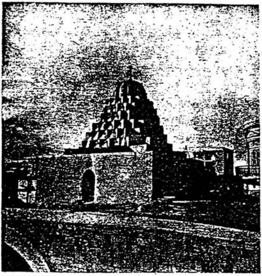
في القدم ، جنوب ميدان الحصا .

جدده سنة ٥١٧هـ—١١٨٠م الشيخ ابو البركات محمد بن الحسن بن طاهر وبه قبره ، وقبر تاج الامناء ابن عساكر .
بناء مشتن ، فوقه قبة . جددت جبهته الشمالية سنة ١٣٥٢هـ. في المحراب صخرة تزعم العامة أنّ فيها اثر قدم النبي . في وسط المصلى قبر أحمد باشا الوالي التركي .
كان ينزل عليه الملوك ونواب السلاطين ، زمن الايوبيين والمماليك ، اذا جاءوا لحصار دمشق . وكان باشوات الشام ينتظرون فيه اجتماع الحجيج الى مكة ثم يخرجون منه .

انظر : ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ٢٦ ، والذيل ص ٢٤٤
أبو شامة ، ذيل الروضتين ص
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ : ١٢ ، ٢٧ ، ٦٦
Sauvaget, *M. H. D*, p. 86.

الأبنية النورية

٩ ــ البيمارستان النوري



بيمارستان نور الدين — القبة المقرنصة

في زقاق البيمارستان، وهو اليوم مدرسة التجارة الرسمية.[٤]

بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي، سنة ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ أي سنة دخوله دمشق.

وهو ثاني بيمارستان بني بدمشق، بُني بعد المارستان الدقاقي الصغير قبته بنيت على طراز قباب الجزيرة وبغداد.

فيه زخارف منوعة، على الحجر، وعلى الخشب، وعلى النحاس، وبابه قطعة فنية رائعة. نوافذه من الجص المحفور بأشكال هندسية. وفيه زخارف ملونة.

انظر: المنجد، بيمارستان نور الدين (أوسع ما كتب عنه).
دهمان، البيمارستانات في الاسلام، في مجلة المجمع العلمي.
عيسى باشا، البيمارستانات في الاسلام.
Van Berchem. *Inscriptions. ar. de Syrie*, MIÉ, III, p. 451-453
W. W. : E. 4. 7.
Sauvaget, *M.H.D* p. 49
Répertoire, VIII, p. 268. — IX p. 76.
Herzfeld, *Damascus : Studies in architecture*, Part 1, dans Ars Islamica IX, 1942

١٠ ــ دار الحديث النورية

في العصرونية ، مقابل المدرسة العادلية الصغرى ، يفصل بينهما الطريق. بناها نور الدين الشهيد ، للمحدث الكبير مؤرخ دمشق الحافظ بن عساكر أول مدرسة بنيت لتعليم الحديث . درس فيها ابن عساكر ومن بعده نفر من أولاده وأحفاده.

بنيت إبان حكم نور الدين دمشق ، أي بين سنة ٥٤٩هـ وسنة ٥٦٩هـ ١١٥٤م – ١١٧٤م.

وهي اليوم خراب مهملة . لم يبق من نقوشها غير عضادتي الباب وعتبته. ومحرابها فيه نقوش وزخارف معجّنة ، تشاهد فيها ورقة الكرم ، والعنب.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٨
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد – الذيل ص ٢١٥
أسعد طلس ، دار الحديث النورية في المقتطف.

W. W. : DN. XX. 6
Sauvaget. *M. A. D*, TI, p. 25
Sauvaget. *M. H. D*, p. 53
Herzfeld, *Damascus*: Studies-I - p.49
Ars Islamica, vol. IX



١١ ــ حمام نور الدين

في سوق البزورية .. (البزوريين أو القمح . في القديم) .

بناه نور الدين قبل سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧٢م. اقدم حمامات دمشق الباقية. جعله احد المحتكرين مخزناً للسكر والارز والصابون .

حمام نور الدين ، وترى فيه أكياس الارز والسكر

انظر : المنجّد ، حمامات دمشق ص٥ وما بعدها

W. W. : F. 4. 21
Sauvaget, *M. H. D*, p. 53
Ecochard et Le Cœur, *Bains de Damas*. part II, p. 16
Ecochard, *Trois bains Ayyoubides de Damas*, dans M. A. D. fasc. II, p. 99

١٢ ــ المدرسة النورية الكبرى

تقع في سوق الخياطين (خط الخواصين قديماً)

بناها نور الدين سنة ٥٦٧هـ = ١١٧٢م . ويُقال ان مكانها كان داراً للخليفة الاموي هشام بن عبد الملك .





المدرسة النورية ، الصحن — تاج عمود في تربة نور الدين

في المدرسة تربة نور الدين ، وهي أحسن ما في المدرسة ، فوقها قبة مقرنصة من طراز قبة البيمارستان النوري . على جدرانها آيات قرآنية . أرجح ان تحت الطلاء كتابات أخرى يجب كشفها .

تخطيطها يشابه تخطيط المدرسة العادلية الكبرى .

جدد بناءها قاضي قضاة المالكية بدمشق بعد سنة ٦٨٧هـ .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١١٣

ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٨٤

W. W. : E. 4. 13

Sauvaget, *M. H. D*, p. 53

Sauvaget, *M. A. D.* fasc. II, p. 79

Herzfeld, *Damascus* : Studies - part I.

Ars Islamica, IX, 1941 p. 1-53

١٣ ــ تربة الامير علاء الدين بن زين الدين

في سوق صاروجا . غربي الشامية ، وشرق التربة النجمية .

على بابها بالخط النسخي الايوبي : « هذا ما بنته والدة الامير الشاب الغريب الشهيد علاء الدين بن الامير زين الدين رحمها الله ، في ذي الحجة من سنة ثمان وستين وخمس مائة . » ٥٦٨هـ = ١١٧٣م .

فوق التربة قبة هي اقدم انموذج للقباب ذات الطبقتين ، بثماني وستة عشر ضلعاً . وهو الانموذج المتبع في بناء القباب حتى القرن الرابع عشر الميلادي .

انظر : Sauvaget, *M. H. D*, p. 55

Répertoire, T. IX. p. 70

Herzfeld, *Damascus* : Studies - part III, p. 42

(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

١٤ ــ برج نور الدين

داخل خان السنانية ، جنوب جامع سنان باشا .

وهو أحد الابراج الكثيرة التي بناها نور الدين عند ما حصّن سور دمشق وقد بناه سنة ٥٦٩هـ .

وهو برج قاعدته مربعة ، ثم يقوم على شكل نصف دائرة .

عليه كتابة تشير الى بنائه .

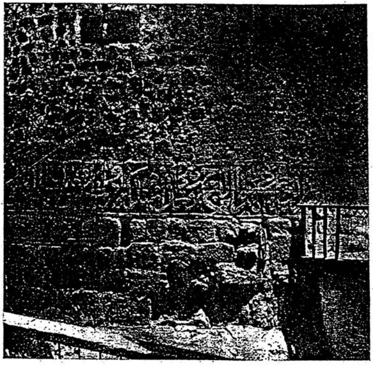
حوله زنار عريض من الكتابة تشير الى عمارة البرج بعد انهدامه في ايام السلطان محمد بن قلاوون .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٢٧

W. W. : D. 6. 1.

Sauvaget, M. H. D. p. 41

Répertoire, IX, p. 76



برج نور الدين ، وتبدو الكتابة عليه

١٥ ــ سور مدينة دمشق

ذكرنا في كتابنا « دمشق القديمة » ان السور في حالته الحاضرة هو كله من عمل الدولة النورية ، ثم الايوبية في بنائه وفي تخطيطه . وهو لا ينطبق مع سور المدينة الروماني القديم الا في طرفه الشمالي الواقع على طرف نهر عقربا من باب السلامة الى الزاوية الشمالية الشرقية منه . اما ابوابه فعدا الابواب الاسلامية المحدثة ، كباب الفرج وباب النصر وباب السلامة تشير كلها الى أماكن الابواب الرومانية القديمة .

ونور الدين اعظم من حصّن السور واكثر الملوك عنايةً واهتماماً به فأتمّ ما كان ناقصاً منه وأحاطه على حارة اليهود ، وقوّى ما كان متهدماً فيه وبنى أبراجاً متعددة ما يزال بعضها قائماً .



قطعة من السور ، قبيل باب كيسان

والقطعة الوحيدة من السور ذات الشأن لمحافظتها على شكلها القديم هي التي تمتد من باب السلامة الى باب توما . وهي مسجلة . يبلغ طولها ٥٠٠ م . يظهر فيها المداميك الصغار . وكلما اقتربت من باب توما ظهرت الحجارة الرومانية .

وتبدو في هذه القطعة آثار باب الجنيق.

ويمر نهر عقربا تحت هذه القطعة من السور ، ويحاشيها

في وسط هذه القطعة من السور مرسوم سلطاني مماليكي

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٨-٢٠

Sauvaget, *M. H. D.* p. 39

الابنية الايوبية

١٦ ــ مسجد خالد بن الوليد

خارج الباب الشرقي ، في مقبرة باب توما ، تجاه جامع الشيخ رسلان الدمشقي .

ينسب الى القائد الكبير خالد بن الوليد (توفي سنة ٢١هـ) لانه صلّى فيه وقت حصار دمشق . وهو اول مسجد صُلّي فيه بدمشق .

على بابه كتابة تشير الى تجديده زمن صلاح الدين ، اي بين سنة ٥٦٩هـ ، وهي سنة وفاة نور الدين ، وسنة ٥٨٩هـ وهي سنة وفاة صلاح الدين .

تهدم المسجد كله ، ولم يبق منه إلا محرابه .

انظر : اسعد طلس ، ذيل ثمار المقاصد ص ٢١٤
بدران ، مهذب تاريخ ابن عساكر ، ١ : ٢٢٥

Répertoire, XII, p. 45
Herzfeld, *Damascus* : Studies. part. II, p. 68
Ars Islamica. vol. X

١٧ ــ التربة النجمية

جوار المدرسة الشامية البرانية ، مقابل تربة الامير علاء الدين بن زين الدين

دُفن فيها افراد من اسرة نجم الدين ايوب ، فنسبت اليه . وفيها قبر الملك المنصور حسن بن صلاح الدين . توفي سنة ٥٧٥هـ — ١١٨٠م . ووجدتُ في التربة لوحاً فيه « هذا قبر زوجة الامير عماد الدين ابو الفتح » .

القبة مهدمة تكاد تسقط . فيها نقوش جصية ، ومشبكات هندسية .

انظر : أبو شامة ، الروضتين ١ : ٥٥
ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣ : ١٦
العلموي ، مختصر الدارس ص ٢١٤

Sauvaget, *M. H. D*, p. 56
Herzfeld, *Damascus* : Studies - Part III, p. 43
Ars Islamica, vols. XI - XII.

١٨ ــ التربة الخاتونية

في الصالحية، جنوب الجهاركسية، وغرب تربة مثقال.

أمرت بإنشائها عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين انر، زوجة نور الدين، ثم صلاح الدين، سنة ٥٧٧هـ = ١١٨٢م.

التربة لطيفة، فيها دوائر جصية مزخرفة بزخارف رائعة.

القبة الحالية، ليست هي الاصلية، بل جددتها مصلحة الاثار عام ١٩٤٤م على طراز القباب الايوبية. وظلت اعمال الترميم فيها الى سنة ١٩٤٦م.

اصيق التربة من الشرق الجامع الجديد الذي بناه سليمان بن حسن المقري سنة ٧٠٩هـ.

انظر: العلموي، مختصر الدارس ص١٩٢
ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد ص١٢٠، والذيل ص٢١١
ابن كنان، المروج السندسية ص٦٠
السيد محمد رجب، التربة الخاتونية في (المقتطف، يناير ١٩٤٦)

Sauvaire, *Description J. As.* Sept.-octob. 1895 p. 236
Répertoire, T IX, 114.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 94
W. W.: DN. VI. C.

١٩ ــ المدرسة الفروخشاهية

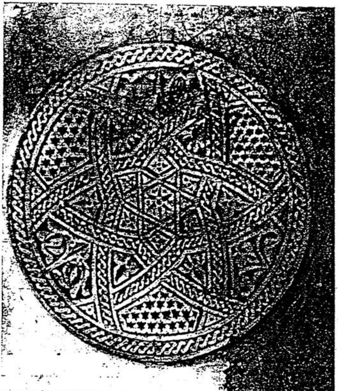
في الشرف الاعلى، غرب مدرسة التجهيز الاولى، مقابل مستشفى الدكتور السادات تنسب الى عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين. وواقفتها والدته زوجة شاهنشاه بن ايوب. ومات عز الدين سنة ٥٧٩هـ = ١١٨٤م ودفن بها.

لم يبق اليوم غير التربة. وقد درس القبر، وجعلت التربة مسجداً.

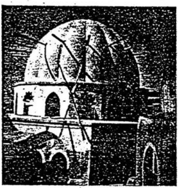
في جنوب التربة ولصيقها التربة الامجدية، أي تربة الملك الامجد بن فرخشاه المتوفى سنة ٦٢٨هـ. وقبره قائم.

انظر: العلموي، مختصر الدارس ص٩٩
ابن كثير، البداية ١٣: ١٢١

W. W. D W. 4.
Répertoire T. IX, p. 124
Sauvaget, *M. H. D*, p. 55
Sauvaget, *M. A. D*, fasc. I p. 27
Herzfeld, *Damascus :* Studies - III, p. 44
Ars Islamica, vols XI - XII.



قلادة من الزخارف الجصية
في الخانونية



قبة الخانونية بعد تجديدها

٢٠ – تربة صلاح الدين الايوبي المدرسة العزيزية

شمال الجامع الاموي ، غربي الجقمقية.

وهي في المدرسة العزيزية التي أمر ببنائها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٥هـ = ١١٩٩ م وقد توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ=١١٩٣م. ودفن في القلعة. وأمر العزيز ببناء تربته هذه، فتمت سنة ٥٩٢هـ = ١١٩٦م.



محراب العزيزية



قبة صلاح الدين

لم يبق من المدرسة العزيزية سوى محرابها ، وتربة صلاح الدين

الضريح من الخشب المحفور المزين بالنقوش المتشابكة المزهرة ، القائمة في ثنايا كتابة كوفية فيها آية الكرسي. وهو الاصيل. أما الضريح الرخام فحدث أهداه غليوم امبراطور المانيا.

جددت التربة في العهد العثماني ، وجمل فيها قيشاني كثير.

في حديقة التربة قبر ياسين باشا الهاشمي، وقبر الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقبور الطيارين الاتراك.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٦٠
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٢ ، ٢٢

Sauvaget, *Cénotaphe de Saladin dans R. A. A.* 1935
W. W. : F. 3. 9.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 57.
Herzfeld, *Damascus*, Studies - III - p. 47
(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

٢١ ــ تربة الامير ابن المقدم



زخارف جصية في تربة ابن المقدم

في مقبرة الدحداح . تسمى اليوم قبر طلحة .

تنسب الى الامير ابراهيم بن محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ=١٢٠١م، كما يذكر المؤرخون.

بنيت حسب طراز البناء الحلبي . وهي قبة تقوم على أربعة أركان، جوانبها مفرغة تشابه قبة المسجف . في داخلها زخارف جصية مختلفة ، (اوراق وزهور متشابكة).

اجرت مصلحة الآثار أعمالا مختلفة فيها . فكشفت التراب عن قواعدها ، وبلطت أرضها وابتدأت الاعمال سنة ١٩٤٥وظلّت حتى عام ١٩٤٨.

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٨

Sauvaget, *M. H. D*, p. 59
Moaz, *Le Mausolée d'Ibn al Muqaddam, dans* (*Mélanges de J. F. D.* 1929)
Herzfeld, *Damascus*, Studies - I - p. 14.
(*Ars Islamica*)

٢٢ ـ المدرسة البدرية

تقع في طريق عين الكرش ، قبالة الشبلية (عند جسر كحيل في الماضي) وكانت هذه المحلة في الماضي ذات قصور وأسواق وحمامات.

بناها الامير بدر الدين حسن ابن الداية المعروف بلالا . وهو من كبار أمراء نور الدين (توفي في حدود الستماية) ، في النصف الثاني من القرن السادس.

وجعلت التربة في حدود سنة ٧٤٠هـ جامعاً . وسكن في هذه المدرسة سبط ابن الجوزي ، وأبو شامة صاحب الروضتين.

سقطت القبة ، فاعادتها مصلحة الآثار ورممتها .

في جدران التربة دهانات زخرفية رائعة ، فيها زهور متشابكة ، وكتابات بالكوفي والنسخي الأيوبي .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص٧٦

ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ١٤٧ ب

ابن كنان ، المروج ص٥٤

W. W. : DXVIII. A. H.N.

Sauvaget, *M. H. D*, p. 95



القبة البدرية

٢٣ ــ حمام السروجي

خارج الباب الصغير، بالشاغور. ينسب الى الشيخ السروجي.

بني في القرن السادس الهجري. من المحتمل ان يكون هو الحمام الذي ذكره ابن عساكر بقوله «حمام خلف سويقة باب الصغير.»

بعض اقسامه تشابه اقسام الحمامات الاموية في الصرخ وقصير عمرة.

انظر: الاربلي، مدارس دمشق.. وحماماتها ص ١٠٩ و ١٠١ بعدها

المنجد، حمامات دمشق ص ٥ وما بعدها

Ecochard, *Bains de Damas*, part, 11 - p. 26.

Creswell, *Early muslim architecture*, part 1, p. 273. fig. 320

٢٤ ــ المدرسة الشامية البرانية

في شرق سويقة صاروجا، غرب سوق الخضراوات (الهال).

أنشأتها ست الشام بنت أيوب، أخت صلاح الدين (توفيت سنة ٦١٦هـ) في اواخر القرن السادس الهجري.

بحرتها تشبه بحرة البيمارستان النوري، والعادلية (قبل تصغيرها) والنورية في المصلى نقوش في الجص، زهور متشابكة. وفي التربة زخارف ودهانات، وآيات قرآنية. لاحظ النوافذ الجصية. في التربة ثلاثة قبور: قبر توران شاه (٥٧٦هـ—١١٨٠) أخو صلاح الدين وصاحب اليمن (الجنوبي) وقبر ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه زوج ست الشام الثاني (توفي ١١٨٦م) (في الوسط) ثم قبر ست الشام، ودفن معها ابنها حسام الدين (٥٨٧هـ—١١٩١م) من زوجها الاول. على القبور كتابات.

أجريت اصلاحات فيها عام ١٩٤٢ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨. وفي هذه الايام يعيدون تركيب القناطر التي أمام المصلى والتربة.

انظر: الدلوي، مختصر الدارس ص ٤٦ — W. W.: C. I. 3

ابو شامة، ذيل الروضتين، ١٦٥ — ب — Sauvaget, M. *H.D.* p. 56

ابن كثير، البداية ١٣: ٨٤ — •Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 38

(*Ars Islamica* vols XI-XII)

Répertoire, IX, N°ˢ 3408, 3448, 3407

٢٥ ـ الجامع المظفري (جامع الحنابلة)

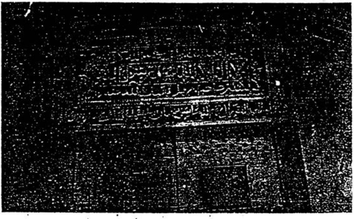
في سفح قاسيون .



تاج عمود في جامع الحنابلة

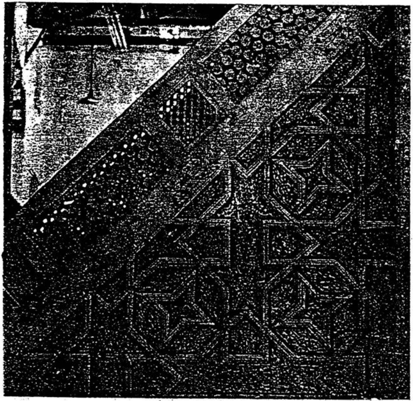
شرع في بنائه ابو عمر محمد بن أحمد بن قدامة سنة ١٢٠٢م وانفق عليه أبو داود المحاسن ، فنفد ما معه ، فأرسل الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل (سنة ٦٣٠ هـ) مالاً فأتمه سنة ١٢١٣ ونسب اليه.

المسجد واسع . فيه زخارف نباتية بالجص ذات شأن ، وفيه خشب مزخرف فوق الابواب ، ونوافذ



كتابة خشبية في جامع الحنابلة تشير الى بانيه .

جصية بزجاج ملون . المنبر والسدة فيه من الخشب المحفور المزخرف وهو من أروع المنابر . في المسجد أعمدة وتيجان اعمدة لعلها أخذت من احدى الكنائس مئذنة مربعة شاهقة . على بابه الغربي كتابة .



قطعة من منبر جامع الحنابلة

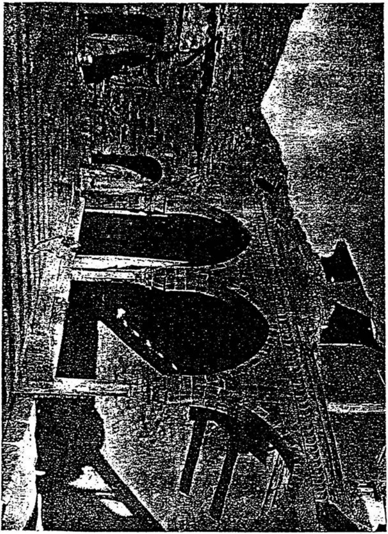
انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٢ ، ١٢٦
العلموي ، مختصر الدارس ص ٣٢
ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ٢٩ ب
طلس ذيل ، ثمار المقاصد ص ٢٠٦

W. W. : VIII. c

Sauvaget, *M. H. D.* p. 95

Répertoire IX, p. 242.

Sauvaget, *Décrets Mamlouks* p. 24



رواق المدرسة العمرية

٢٦ ــ المدرسة العمرية

بسفح قاسيون، في الصالحية.

أول مدرسة أسست في الصالحية. أنشأها ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة الجماعيلي سنة ٦٠٣هـ–١٢٠٦م.

تهدمت.

فيها صحنان. الثاني هو الاقدم، تحيط به خلوات صغار. اما الصحن الثاني ففيه خلوات متهدمة.

لم يبق منها غير رواق ذي اعمدة، شمالي المصلّى، يمر من تحته نهر يزيد. جدد الرواق في القرن الخامس عشر. وفوق الاعمدة مرسوم مماليكي.

كان لهذه المدرسة شأن كبير.

انظر: العلموي، مختصر الدارس ص ٤٠
ابن كنان، المروج ص ١٢٨
ابن كثير، البداية ١٣: ٥٨

W. W.: D N. IX. a.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 94
« « *Décrets Mamlouks*. p. 6
Herzfeld, *Damascus*: Studies - II
(*Ars Islamica*, vol. X 1943)

٢٧ ــ قلعة دمشق

إحدى القلاع العظيمة التي بناها وجددها الأيوبيون، في دمشق وبصرى وحمص وحلب. وهي اكثرها محافظة على أصلها ولم يتطرق اليها الخراب كما تطرق إلى غيرها.

تقوم هذه القلعة مكان قلعة رومانية من القرن الرابع الميلادي.

أول من بني فيها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ لما ملك دمشق. فبنى بها قلعة لطيفة جعلها دار إمارة.

ولما ملك دمشق شمس الملوك سنة ٤٨٨ هـ زاد فيها وشيدها .

ثم أخذ السلاجقة يزيدون فيها إلى ان ملك دمشق نور الدين ، فبنى بها دارًا حسنة تعرف به ودارًا تسمى دار المسرّة .

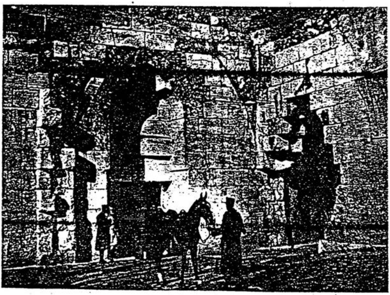
ولما ملك العادل دمشق ، هدم هذه القلعة القديمة كلها ، وبناها من جديد وبدأ سنة ٦٠٥ هـ = ١٢٠٦ م . ، فوزع ذلك على أمرائه وجعلها اثني عشر برجًا . وحفر لها خندقًا وأجرى اليها الماء . ومساحتها ٢٢٠×١٥٠م.

ثم جدد فيها الملك المعظم . ولما جاء الاشرف هدم دار المسرّة وجددها .

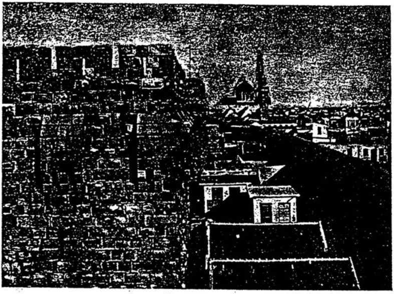
وبنى الكامل دارًا سميت بالدار الكاملية .

وبنى بها الملك الصالح أيوب دركاه لباب المدينة .

ولما ملك التتر البلاد هدموا شراريف القلعة وشعثوا ابراجها وهدموا كثيرًا منها .



باب القلعة الشرقي ، من الداخل



قلعة دمشق

فلما جاء الظاهر جددها وشيدها ورمّم ما هدمه التتر .

ثم جددت زمن نائب السلطنة علم الدين سنجر سنة ٦٩٠ هـ. ايام السلطان الاشرف خليل بن قلاوون . ثم جددت ايام الملك الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٥ هـ.

وتوقفت أعمال التجديد والترميم فيها منذ جاء العثمانيون .

وفي هذا العام ١٩٤٨ بدأت دائرة الآثار بترميم قسم من الناحية الجنوبية فيها .

انظر : ابن طولون ، الشمعة المضيئة في اخبار القلعة الدمشقية .
البدري ، نزهة الانام في محاسن الشام ص ٦٠

W. W. : p. 166 et suiv.

Sauvaget, *La citadelle de Damas*, dans Syria 1930

» *M. H. D*, p. 43.

٢٨ ـ المدرسة الماردانية

بالجسر الابيض .

أنشأتها زوجة الملك المعظم في سنة ٦١٠ هـ = ١٢١٣م . ووقفتها .

في مدخلها عتبة من الخشب المنقوش . وفي المصلّى ، على مصراعي الباب قطع من الخشب المنقوش . للمدرسة ايوانان ، شرقي وغربي . في الغربي قبة فيها قبر الامير سيف الدين اسبك بن ازدمر المتوفى سنة ٨١٦ هـ .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٧
. ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص١٥٥ والذيل ص ٢٤٩
ابن كنان ، المروج السندسية ص

W. W. : D N. I. B.
Sauvaget, *M. H. D.* p. 100
Sauvaget *M. A. D.* p. 119.
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 19, 22.
Ars Islamica, vols XI-XII.

٢٩ ـ المدرسة العادلية الصغرى

في العصرونية ، مقابل دار الحديث النورية .

أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل الايوبي سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١م .

لم يبق فيها قديم سوى بابها وواجهتها . بابها من طراز ينفرد به في دمشق . في أعلى واجهتها كتابة تشير الى أوقافها .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٥٨ .

٣٠ ـ المدرسة العادلية الكبرى

تجاه المدرسة الظاهرية (دار الكتب) . وهي مقر المجمع العلمي .

أول من أنشأها نور الدين . ثم شرع الملك العادل ببنائها سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م . فمات سنة ٦١٥ هـ . ولم يتمها . فأتمها من بعده ابنه الملك المعظم .

وعمر فيها تربة لابيه الملك العادل ، ونقله بعد تمامها سنة ٦١٩ هـ. اليها ، ودفنه فيها .



بوابة العادلية الكبرى

في سنة ٦٥٤هـ دفن بجانب أبيه مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل .

في التربة اليوم خزانة كتب المجمع .

تخطيط المدرسة يشبه تخطيط النورية الكبرى . بابها ذو قفل حجري مدلى .

ـ أجريت فيها ترميمات عام ١٩٤٨ وقبل ذلك عام ١٩٤٤ و١٩٤٥

انظر : ابو شامة ، ذيل الروضتين ورقة ١٥٢ ب
ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٨
مجلة المجمع العلمي ، عام ١٩٢١ ص ٢٦-٢٨

W. W.: E. 3. 5.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 62
« *M. A. D*, - II, p. 76
Sauvaire, (*J. As.* 1894) p. 423.
Creswell, *The origin of the cruciform plan*, p. 12
Herzfeld, *Damascus* : Studies - I - p.
in *Ars Islamica.*

٣١ــ زاوية الفرنثي

في الصالحية . جادة بين المدارس . لصيق المرشدية من الغرب .
تنسب الى الشيخ علي بن محمد الفرنثي ، الزاهد المتصوف ، المتوفى سنة ٦٢١ هـ = ١٢٢٤م .

كانت زاوية ومسجداً . لم يبق إلا التربة . فوق التربة قبة مزدانة ببعض نقوش جصية . فيها قبران متجهان نحو الجنوب الغربي . لها شباك على الطريق فوقه كتابة .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٧٣

ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ١٣١ ، والذيل ص ٢٤٣

ابن العماد ، شذرات الذهب ٥ : ٩٥

W. W. : D. N.V b

Sauvaget, *M. H. D*, p. 97

Répertoire, X, H.N No. 3911

Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 56

(*Ars Islamica*, vols XI - XII)

٣٢ — تربة مثقال

في الصالحية . مقابل الجامع الجديد والتربة الخاتونية

تربة سابق الدين مثقال بن عبدالله الجمدار الناصري . كان حاجب صلاح الدين وشهد معه اكثر فتوحاته . توفي سنة ٦٢٠هـ

وكان الى جانب التربة مسجد فاختاس . ولم يبق اليوم غير التربة . وهي مربعة فوقها عقد متهدم ، وليس قبة . وهذا انموذج نادر في ترب دمشق . في وسطها قبر مثقال ، وعليه كتابات ذات شأن . في ناحية القبر الشمالية كتابة تشير الى وقعة حطين والى الغزوات التي شهدها مثقال مع صلاح الدين .

انظر : ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص ١٤٦

ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ورقة ٢٣٠ آ ، ٢٦٣ آ .

W. W. DN. VI. A.

Sauvaget, *M. H. D*. p. 96-97.

Sauvaget, *M. A. D*. p. 113 et suiv.

Répertoire, X, p. 208-210.

٣٣ — الباب الصغير

باب المدينة الجنوبي . سُمي بذلك لانه اصغر ابوابها .

وهو باب روماني ، جُدد زمن نور الدين . ثم زمن الملك المعظم عيسى سنة

٦٢٣هـ—١٢٢٦م نزل عليه يزيد بن ابي سفيان في حصار دمشق ، ودخل منه تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ . على الباب كتابتان : الاولى من زمن نور الدين ، والثانية من زمن الملك المعظم . رممته مديرية الآثار في الشهور الاوائل من عام ١٩٤٨ .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٤١—٥٠

W. W. : F. 6. 3
Sauvaget, *M. H. D*, p. 4
« *Quatre décrets Seldjoukides*, p. 8-9
Répertoire, X, n° 3955.

٣٤ ــ تربة محمود بن زنكي ، أمير قرقيسيا

تقع وراء الدور .

وهي تربة نور الدين محمود بن زنكي بن مودود ، صاحب قرقيسيا ، المتوفى سنة ٦٢٤هـ—١٢٢٧م . وفيها دُفن ابنه عثمان المتوفى سنة ٦٣٥هـ .

البناء بحالة سيئة جدًا . في المحراب نقوش جميلة من حجر اسود واحمر .

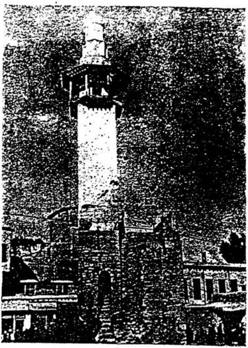
انظر :
Répertoire, *M. H. D.* p. 64
Sauvaget, XI - 1 - p. 91.

٣٥ ــ باب توما


باب توما

احد ابواب المدينة من الشمال . ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما . وينسبه بعضهم الى قرية كانت في ظاهر دمشق اسمها توما .

باب روماني ، اعاد بناءه الملك الناصر داود سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٨م . ثم جدده تنكز سنة ٧٢٩هـ ما تزال قواعده من الحجارة الرومانية . عليه كتابتان



مئذنة باب توما

كان الى جانبه مسجد ، وفوقه مئذنة ، فرفع المسجد لتوسيع الطريق ، وهدم المهندس ايكوشار المئذنة

رمم عام ١٩٤٨ ، وخاصة من ناحية درج المئذنة.

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٤١

W. W. : K. 2. 3
Sauvaget, *M. H. D*, p. 42
Sauvaire, (*J. As.* Mai-Juin, 1896) p. 373.

٣٦ ــ المدرسة الركنية البرانية

في حي الاكراد ، بسفح قاسيون .

بناها الامير ركن الدين منكورس ، غلام فلك الدين اخي العادل ، المتوفى سنة ٦٣١هـ وعمل عندها تربة .

بُدئ بعمارتها سنة ٦٢١هـ وتجزت سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٨م

واجهتها رائعة جداً ، فيها زخارف هندسية ، وكتابات كوفية .

فوق الصحن ، تقوم قبة بديعة ، تستند على أقواس جميلة . ولا يوجد مثل ذلك في ابنية أخرى .

انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٤١
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ١٦٩ ، والذيل ص ٢١٨
ابن كنان ، المروج ص ٤٤

W. W. : DN. XI. A
Sauvaget, *M. H. D.* p. 98
Sauvaire, (*J. As.* Septembre - oct. 1894) p. 258
Répertoire, X, p. 214
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III, p. 20.

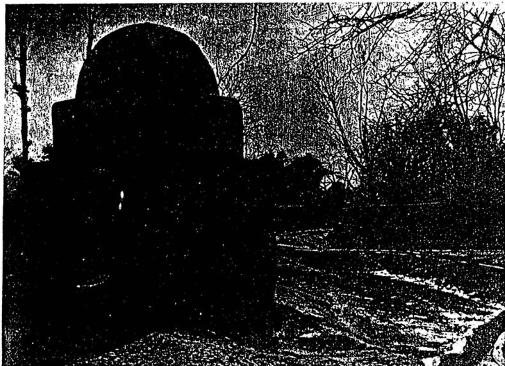
٣٧ ــ قبة المسجف

بالمزة ، إلى الشرق منها ، وشمال كفرسوسية

وهي بناء مربع يقوم فوقه قبة ، وهو مفتوح الجوانب من جهة الشرق والغرب والشمال . وابقيت الجهة الجنوبية مسدودة فقام فيها محراب ، وفوقه آية « إنما يعمر مساجد الله ... »

وشمال هذه القبة يقع قبر المسجف .

وهو الزكي أبو القاسم بن غنائم العسقلاني المعروف بالمسجف المتوفى سنة ٦١٥هـ .



قبة السجف

وقد جدد عمارة التربة – ولده بدر الدين عبد الرحمن سنة ٦١٧ هـ.
ودفن بها عند وفاته سنة ٦٣٠ هـ.
هذه القبة تشابه قبة ابن المقدم، وقبة النصر.

انظر : محمد دهمان، قبة المجف، في (مجلة المجمع العلمي مجلد ٣٠، جزء ٢ و ٦٠٩) ص ٦٢٩
ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٠٣
ابن طولون، المزة فيما قيل في المزة، ص ٣٥
العلموي، مختصر الدارس ص ٢١١

٣٨ – المدرسة العزية البرانية

مقابل مدرسة التجهيز الاولى – بالشرف الاعلى.

بناها الامير عز الدين ايبك الاستادار المعظمي، صاحب صرخد، المتوفى سنة ٦٤٥ هـ.

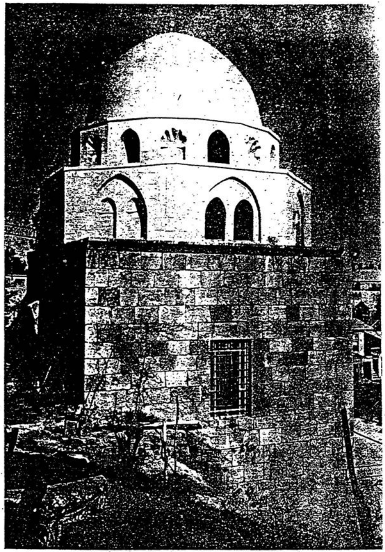
بنيت كما تدل الكتابة التي على بابها سنة ٦٢١ هـ، وتذكر المصادر التاريخية أن بناءها تم سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩ م.

مات بانيها بصرخد فنقل إليها. ثم دفن بها ابنه الامير مظفر الدين ابراهيم.

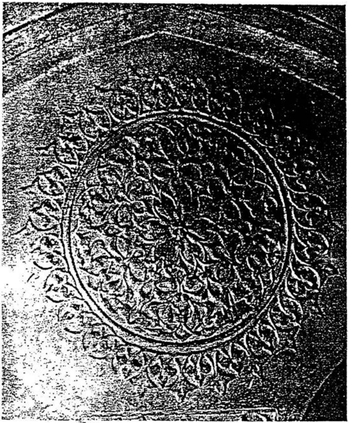
لم يبق منها غير التربة. بابها الخارجي من طراز غريب. في التربة قلادة من الجص المنقوش النادر.
وقد أجرت مصلحة الآثار ترميمات فيها

انظر : العلموي : مختصر الدارس ص ٦٦
ابن كثير : البداية ١٣ : ١٧٤، ١٩٥
ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد ص ٢٣٩

W. W. : DW. 5
Sauvaget, *M. H. D*, p. 64
« *M. A. D*, - II - p. 56
Herzfeld, *Damascus*, Studies - III, p. 55.
Répertoire, X, n° 3914.



التربة العزية بعد ترميمها



القلادة الجصية في التربة العزية

٣٩ ــ جامع التوبة

في العقيبة



رواق جامع التوبة الشمالي

كان مكانه خان الزنجاري ، للخواطئ والمنكرات . فخربه الملك الاشرف موسى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤م وأمر بعمارته جامعاً ، وسماه جامع التوبة . ثم أتم عمارته وجددها خطيبه يحيى بن عبد العزيز بن عبد السلام سنة ٦٤٩ هـ.

تخطيطه يشبه تخطيط الجامع الاموي على بابه الشرقي مقرنصات بديعة. على طرفيه مراسيم مماليكية. محرابه من اروع المحاريب وهو من الفصوص الملونة. في قبة المصلى نوافذ جصية ذات زجاج ملون.

احترق هذا المسجد سنة ٦٩٩ هـ. وأصابته قنبلة في حوادث عام ١٩٤٥ م.



جامع التوبة، الجبهة الجنوبية

انظر: العلموي، مختصر الدارس ٢٢٩
ابن كثير، البداية ١٣: ١٤٣
ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد ص١٠٠ والذيل ٢٠٢

W. W. : E. I. 3
Sauvaget, *M. H. D*, p. 64
» *Décrets Mamlouks*, p. 27.
Répertoire, XI - I - 23
XI - II - 221

٤٠ ــ جامع جرّاح

خارج الباب الصغير، بمحلة سوق الغنم. بدرب جراح.

كان اصله مسجداً للجنائز، فجدده جراح المنيحي. ثم جعله الملك الاشرف موسى جامعاً سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م. ثم احترق في اواخر سنة ٦٤٢ هـ في ايام الملك الصالح اسماعيل. فجدده الامير مجاهد الدين محمد ... ابن قليج سنة ٦٤٨ هـ، كما تشير الكتابة التي على بابه. ثم احترق سنة ٩٧٤ هـ فجدده مصطفى باشا نائب الشام.

الجامع بحالة رثة. لاحظ في رواق صحنه الشرقي مزولتين من رخام صنعتا

سنة ١١٨٥ ﻫ. وفي الرواق الشمالي مزولة ثالثة، وكلها من عمل محمد الخلاتي.

. المصلى واسع. محرابه حجري منقوش المنبر قديم شوهته الدهانات.

انظر: العلموي، مختصر الدارس ص ٢٢٦
بدران، مهذب ابن عساكر ٤: ٢٢٤
ابن كثير، البداية ١٣: ١٤٠
ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد ص١٠٥، والذيل ص ٢٠٥
Répertoire, XI - II - p. 215.

٤١ ـــ المدرسة الجهاركسية

في الصالحية، شمال التربة الخاتونية.

تنسب الى الامير جهاركس بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٠٨ ﻫ. وكان على بانياس والشقيف. وقد بنى هذه القباب بعده مملوكه صارم الدين بن عبدالله المتوفى سنة ٦٣٥ ﻫ. ودفن معه فيكون البناء قد تم بين سنة ٦٠٨ﻫ وسنة ٦٣٥ ﻫ = ١٢١١ م — ١٢٣٨ م.

سقطت القباب، ولم يبق إلا الجدران، اما داخلها فخراب.

ظل التدريس فيها الى القرن الحادي عشر الهجري، وجعل المصلى في ايامنا مكتباً للصبيان. على واجهتها كتابة.

انظر: العلموي، مختصر الدارس ص ٨٣
. ابن كثير، البداية ١٣: ٦٣، ١٥١.
ابن عبد الهادي، ثمار ص ١٥٦ والذيل ص
المحبي، ٣: ١١٣

Sauvaget, *M. H. D.* p. 96
» *M. A. D.* - II - p. 41
W. W. : DN. VI. e
Répertoire, X. p. 64
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 50

٤٢ ـــ مسجد السيدة رابعة

في القيمرية، زقاق الست رابعة.

ينسب الى رابعة الشامية، او رابعة العدوية.

جدده نور الدولة علي بن قرستق سنة ٦٣٦ ﻫ = ١٢٣٨ م. على واجهته

كتابة . لا شيء قديم في داخله . لاحظ ضريح السيدة رابعة في غرفة لها نافذة تطل على الطريق .

انظر : ذيل ثمار المقاصد ص ٢٢٩

٤٣ ــ باب الفرج الداخلي

احد ابواب المدينة من الشمال . وباب الفرج باب مزدوج . والداخلي أحدث ايام نور الدين . وهو على حذاء السور القديم قبل ان يُدفع الى خفة بردى . وهو مزين بنقوش مخرّمة تظهر في عضادته اليسرى ، من الداخل . فوقه عتبة فيها كتابة تشير الى تجديد الباب سنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤٢ م رممته مديرية الآثار عام ١٩٤٨ .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٥٥

W. W. : p. 185
Sauvaget, *M. H. D*, p. 42
Répertoire, XI - II - p. 131

٤٤ ــ المدرسة الأتابكية

في الصالحية ، قبيل الجهاركسية الى الغرب

أنشأتها زوجة الملك الاشرف تركان خاتون . ماتت سنة ٦٤٠هـ = ١٢٤٢م ودفنت بها .

سُترت واجهة المدرسة بحوانيت يجب رفعها . بابها جميل ذو مقرنصات رممت عضادته اليسرى عام ١٩٤٥ . لا شيء يلفت النظر في الداخل .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ٢٦
ابن كثير ، البداية ١٣ : ٢٧ ، ١٦١
ذيل ثمار المقاصد ص ١٦١

W. W. : DN. V. g
Sauvaget, *M. H. D*.p. 100.
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 13

٤٥ ــ التربة العالمة

في الصالحية ، امام خان السبيل .

تربة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م لم يعرف نسبتها سوقاجه . (افردنا لها بحثاً خاصاً) .

٤٦ ــ باب السلامة

أحد ابواب المدينة الشمالية . ويسمى أيضاً باب الفراديس الصغير .

وهو أجمل أبواب المدينة . ذو قوس عربية بديعة . بناه نور الدين ، ثم تهدم ، فجدده الملك الصالح أيوب سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م.

فوقه عتبة عليها كتابة تشير إلى تجديده . وعلى عضادة البـاب الشمالية مرسوم مماليكي .

رممته مديرية الآثار عام ١٩٤٨ . ورممه من قبل المهندس ايكوشار .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٤٥

Sauvaget, *M. H. D.* p. 43
W. W. : H. 2. 1.
Répertoire, XI, N° 4223

٤٧ ــ مدرسة الصاحبة

بسفح قاسيون ، من الشرق ، عند حي الاكراد .

أنشأتها للحنابلة ربيعة خاتون بنت أيوب ، أخت صلاح الدين . مـاتت سنة ٦٤٣ هـ . وكانت زوج الملك المظفر صاحب اربل المتوفى سنة ٦١٤ هـ . قدمت دمشق بعد وفاته وبنت المدرسة . فيكون بناؤها تم بين سنة ٦١٤هـ وسنة ٦٤٣ هـ.



مقرنصات مدرسة الصاحبة



واجهة المدرسة الصاحبة

بابها جميل ذو مقرنصات . واجهتها من طراز العمارة في سورية الشمالية . فوق الباب والنوافذ نقوش هندسية .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٣٥
ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١ : ٥٥٢
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٧٠

W. W. : DN. IX. g
Sauvaget, *M. H. D*, p. 100
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III -, p. 9

٤٨ ـ برج الملك الصالح أيوب

يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة ، شرقي باب توما . مقابل الشيخ أرسلان .

من اجمل الابراج القائمة . عليه كتابة تشير إلى بنائه من قبل الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م .

انظر : المنجد ، دمشق القديمة ص ٢١

W. W. : L. 2. 4.
Sauvaget, *M. H. D*, p. 41
Répertoire. XI, N° 4282

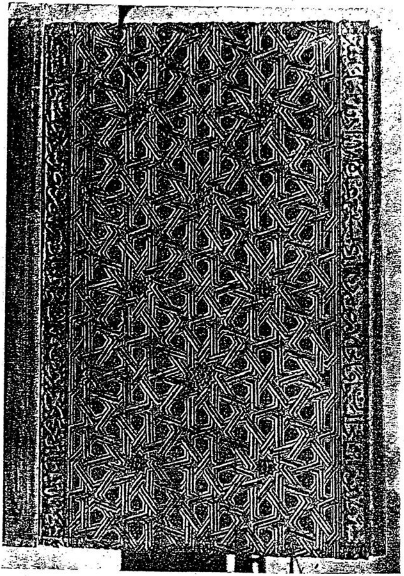
٤٩ ـ التربة الحافظية

في الصالحية ، على طريق عين الكرش المؤدي الى البدرية والشبلية وحي الاكراد .

بنتها الخاتون أرغون الحافظية ، عتيقة الملك العادل ، وجعلتها تربة ومسجداً .

سميت بالحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ صاحب قلعة جعبر . توفيت سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م .

وقد كان في التربة ضريح من الخشب المنقوش ، هو ضريح الاميرة عصمة الدنيا والدين بنت السلطان الملك معز الدين قيصر شاه . فنقل الى



متحف دمشق .

اصبحت الآن مكتباً للصبيان .

انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٩١
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٨٠
المحبي ، ٣ : ١٣٦

W. W. : DN. XIX. a
Sauvaget, *M. H. D*, p. 103
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 63

٥٠ ــ المدرسة القليجية

جنوب قصر العظم ، مقابل دار الحديث التنكزية .

اوصى بوقفها الامير سيف الدين على بن قليج المتوفى سنة ٦٤٣ هـ. وبدأ قاضي القضاة ابن سني الدولة ببنائها سنة ٦٤٥ هـ بعد وفاة الامير واتمها سنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م.

بقي منها واجهتها . بابها ذو قفل حجري مدلى . عليه عتبة فيها كتابة تشير إلى وقفها . التربة ، وهي على يمين الباب ، ذات شباكين على الطريق. فوقها كتابة وأشعار . داخل التربة قبر الامير سيف الدين ، وقبر أحمد بن ابراهيم أحد صدور الشام المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ.

احترقت في فتنة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ. وأعيد ترميمها سنة ٩٧٠ هـ ثم سنة ٩٨٢ هـ.

باقي المدرسة جعل دوراً .

أنظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٢
ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٧١ : ٢٤٦
المحبي ، ١ : ١٥٨ ، ٢٠٧
ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ص

W. W. p. 74
Sauvaget, *M. H. D*, p. 66
Répertoire, XI - II - p. 178, 249.
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 1

٥١ ــ المدرسة المرشدية

في الصالحية ، جادة بين المدارس ، لصيق تربة الفرنثي .

أنشأتها سنة ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م خديجة خاتون ابنة السلطان الملك المعظم عيسى المتوفاة سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م .

بابها ضخم . جبهتها من الحجارة الضخام . فوق الباب كتابة . مئذنة المدرسة مربعة ، وهي الوحيدة الباقية من القرن السابع . لم يبق من المدرسة غير مسجد صغير الى جانبه قبة الضريح . على حيطانها زخارف جصية جميلة

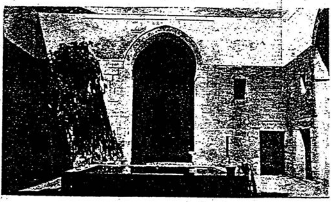
انظر : العلموي ، مختصر الدارس ص ١٠٥
ابن عبد الهادي ، ذيل ثمار المقاصد ص ٢٥١
ابن كنان ، المروج ص ٤٦

W. W. : DIV. V. c
Sauvaget, *M. H. D*, p. 103
Répertoire, XI - II, p. 233
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 64

٥٢ ــ البيمارستان القيمري

في الصالحية ، لصيق جامع محيي الدين بن عربي من الغرب

اوقفه الامير سيف الدين القيمري المتوفى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م في ايام



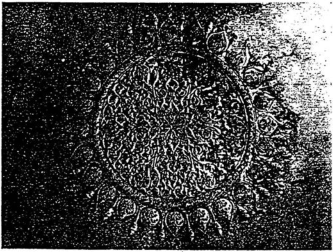
الصحن والبحرة والمدخل

الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز .

من اعظم آثار دمشق شأنا يشبه في تخطيطه بيمارستان نور الدين إلا انه أوسع منه .

بابه مقرنص عليه كتابات جميلة باوقافه . على جانبيه عمودان ، احدهما محفوظ . إيوانه الجنوبي واسع . كسي عقده بالجص المزخرف . وفيه قلادتان فيهما زخارف نباتية . في الايوان آيات وكتابات بخط نسخي ايوبي حروف حمر على ارض زرقاء .

رممته مصلحة الآثار .



احدى القلادتين الجصيتين

انظر : ابن كثير ، البداية ١٣ : ١٩٤
احمد عيسى ، البيمارستانات في الاسلام
المحبي ، ٣ : ٢٥

W. W. : DN. VII. b
Sauvaget, *M. H. D*, p. 102
Répertoire, XII, p. 6
Herzfeld, *Damascus* : Studies - III - p. 27...

شذرات

الملكات العربيات قبل الاسلام[1]

هي لمحة سريعة تشمل بلاداً تمتد من المدائن الى رومة من جهة ومن البحر الاسود حتى خليج فارس من جهة أخرى وتدرس فترة تفوق ستة عشر قرناً.

ويستخلص القارئ من بين السطور أن غاية الباحثة إظهار مقدرة المرأة العربية واحترام العرب لها واعترافهم بحقها في الحكم والسلطة عند ما تظهر الكفاءة اللازمة • غير ان الكاتبة لا تقصر دراستها على النساء اللواتي اثبتن موهبتهن بالحكم وأظهرن استقلالهن في العمل بل هنالك فئة كبيرة تذكرها لمجرد اشتهارها بين العرب او لاقتران أسمها ببعض الشخصيات الكبيرة كتلك السلسلة التي عُرفت باسم « هند » والتي تسر قراءتها القارئ لطرافتها ولبعض السذاجة التي نجدها في حوادثها •

فتلك ميتة هند زوجة حجر بن عمرو المفجعة تظهر لنا وحشية رجل جرحت عواطفه وانحط عنفوانه فربط امرأته الى جوادين فمزقاها وذلك لانها هربت مع العدو الذي سباها وباحت له بكرهها لزوجها . ويلي ذلك حادث صبياني جرى مع هند ثانية هي ابنة حارث بن عمرو بن آكل المرار وأم عمرو بن هند التي بنت ديراً عرف باسم « دير هند الكبرى » ويلخص بأن عمر بن هند سأل يوماً خلانه عما اذا كانوا يعرفون بين العرب من يأبى ان تخدم امه والدة عمرو فأجيب : نعم هنالك عمرو بن كلثوم. فدعا عمرو بن هند عمرو ابن كلثوم ووالدته ليلى لضيافته وطلب الى والدته أن تصرف الخدم وهم الى المائدة وتطلب الى ليلى ام عمرو بن كلثوم ان تقدم لها طبق الحلوى : غير انها لم تكد تلح على ليلى ان تقدم لها الطبق حتى صاحت هذه الاخيرة: «يا للاهانة تعالوا يا رجال تغلب ». فما كان من ابنها الذي سمع صراخها بينما كان الآخرون

[1] Nabia Abbott, *The American Journal of Semitic languages and literatures. Pre-islamic Arab queens.* Volume LVIII, January 1941. Number 1.

يتعاطون الخمر الا ان استل سيف عمرو بن هند الذي كان معلقاً على مقربة منه وضرب به مُضيفه فقضى عمرو بن هند شهيد حبه لوالدته.

وهنالك «هند الصغرى» ابنة النعمان الثالث او أخته التي دخلت الدير لانها لم تتمكن من الاقتران بعدي الذي كانت تحبه وذلك لان أباها سجنه وقتل في السجن قتلة شنيعة وعرف الدير بعد ذلك «بدير هند الصغرى» نسبة لها ويقال ان مغيرة بن شعبان حاكم الكوفة (٦٤٣–٦٤٥) قد زارها في الدير وطلب اليها ان تقترن به رغم انها كانت مسنة وعمياء. فرفضت فتركها مغيرة بعد ان قال بها الشعر .

تلك تحص طريقة تلك القارئ غير انها لا تظهر شيئاً عن تفوق المرأة اللهم الا ما عهد عنها، او بالاحرى ما ألصق بها، من إثارة مشاكل عائلية وغرامية.

غير ان هنالك نساء أخر تذكرهن الكاتبة قد يقف امامهن حيارى من يدعون ان للمرأة امكانيات غير امكانيات الرجل. اذ نجد اولئك النساء يسهرن على الممالك فينظمنها احسن تنظيم ويلعبن بعرش رومة فيرفعن امبراطوراً ويسقطن آخر ويقمن باعمال يفقن بها رجال عصرهن . ولا تذكر من النساء ملكة سبأ التي ملأ ذكرها الشرق والغرب معاً لما في تاريخها من الغموض والابهام وقد تكون الملكة الوحيدة التي قامت في جنوب الجزيرة .

اما في الشمال فإننا نجد شمسي تقف بوجه تغلت فلاسّر الثالث وتساعد ملك دمشق على عدوه الآشوري غير ان هذا الاخير يشن عليها حرباً شعواء يضطرها الجوع فيها والعطش الى الخضوع الا أن تغلت فلاسّر لم يعزلها من الحكم بل اكتفى بفرض جزية قوية ووضع رقيب آشوري في بلاطها ليرسل له التعليمات الوافية عن سلوكها وعن قبائلها الى دولته . وتقول الكاتبة ان بقاء شمسي بالحكم رغم فشلها السياسي واندحار جيشها وخضوعها للعدو لما يظهر لنا المكانة الرفيعة التي كانت تتبوأها الملكات عامة ومكانة شمسي خاصة ومقدرتها في تسيير الامور الداخلية وادارة شؤون مملكتها.

ثم نجد تخونو Tékhunu تحارب سنحاريب وتندحر امامه ايضاً فينقلها هي وآلهتها الى نينوى .

وبعد ذلك تنتقل الكاتبة الى ذكر الدور العظيم الذي امتبه النساء

« العربيات » في الامبراطورية الرومانية فتذكر زواج سبتموس سفيروس من مرتا ابنة باسيانوس (Bassianus) الامير الكاهن في حمص التي اصبحت فيما بعد الامبراطورة جوليا دوما (Julia Domna) والتي لعبت الدور الاول في عهد ابنها كركلا (Caracalla) وكان تأثيرها عليه دائماً لخير الدولة وهي التي حالت دون تقسيم الامبراطورية بين كركلا وأخيه وقد داومت على « إدارة الشؤون المهمة في الدولة بفطنة وتبصر كانا يخففان من كثرة اسراف كركلا » . وقد عرفت تلك الامبراطورة مجداً عظيماً وحملت القاباً لم تحملها امرأة قبلها ولما اغتصب المُلك مكرينوس (Macrinus) أعادها الى مصاف العباد ثم ابعدها عن روما فماتت بعد شهور قلائل اما لاضرابها عن الطعام او لجوع فرض عليها .

غير ان مكرينوس (Macrinus) لم يرتح بموتها بل قامت جوليا ميزا (Julia Mesa) اختها تدس له المكائد ولم تألُ جهداً حتى أسقطته عن العرش ووضعت مكانه ابن ابنتها البكر التي ادّعت انه ابن كركلا غير الشرعي ولكنه كان مختلًا فادّعى انه هو نفس الاله الذي كان كاهناً له لذا دعا نفسه ايلوغابال (Elogabalus) وقد كرس نفسه لنشر ديانته وانغمس بلذاته الشخصية التي انتهت الى اشنع التهتك .

وكانت أمه وجدته تحكمان من وراء الستار وقد لاحظت تلك الاخيرة ان اسراف ايلوغابال (Elogabalus) سيجر حتماً الى سقوطه فعملت لابداله بابن ابنتها الثانية وهكذا كان . ولم يطل الامر حتى توفيت جوليا ميزا فتولت ابنتها الثانية جوليا ماما(Mammæa) الحكم كوصية على ابنها اسكندر لانه كان قاصراً . ولم يتحرر هذا الولد من سلطة امه عند ما بلغ سن الرشد فكان ذلك حجة لبعض الطامعين بالحكم . وقد اعتادت (Mammæa) أن ترافق ابنها حتى في الحملات الحربية وقد نصحته في حملة المانيا سنة ٢٣٤ بان يفاوض العدو ويوقف القتال مما اثار جيوشه فقاموا بثورة دبّرها مكسيموس (Maximus) القائد والامبراطور فيما بعد قتل فيها اسكندر ووالدته وكان موتهما فاتحة عهد سادت فيه الفوضى والحروب الداخلية التي انهكت الامبراطورية .

الا ان اعظم هؤلاء النساء جميعاً هي زينوبيا العظيمة ملكة تدمر، وقد

كانت حازمة ، على جانب عظيم من الجمال والعلم والمقدرة . وقد وثق بها زوجها الذي كانت تشاركه طموحه وترافقه في القنص والحرب . وكانت تؤمن بعظمة تدمر وتطمح كزوجها الى تأسيس امبراطورية شرقية مستقلة تحت سيادة تدمر وقد تسلمت الحكم بعد زوجها وعملت لتحقيق حلمها فوسعت حدود مملكتها شرقاً نحو بلاد ما بين النهرين وشمالاً غرباً نحو شرق آسيا الصغرى وضربت النقود بعد موت كلودس (Claudius) استعداداً للاستقلال التام . غير ان اورليان خليفة كلودس الذي لقب نفسه « بمنقذ الشرق » قد احبط مسعاها فبعد ان دخلت الجيوش التدمرية سوريا ومصر سنة ٢٧٠ واصبحت ممتلكات زنوبيا تمتد من مصر حتى بلاد ما بين النهرين ومن الهاليون الى شمالي الجزيرة العربية تفرغ لها اورليان وكان قبل ذلك منهمكاً بالحروب في الغرب . فعند وصوله خانها اليونان والرومان وتخلوا عنها فمنيت جيوشها بخسائر فادحة على العاصي قرب انطاكية وهزمت شر هزيمة غير انها لم تيأس بل جمعت مع قوادها قواتها ولاقت جيش الامبراطور ثانية في سهل حمص حيث اندحرت ايضاً . عند ذلك تراجعت الى تدمر فحاصرها اورليان الظافر ثم عرض عليها سلماً بشروط خفيفة لكنها اخطأت في رفضها اياه فشدد الحصار عليها مما اضطرها الى الفرار الا ان اورليان لحق بها فأدركها ثم ساقها الى روما ليتوج انتصاراته بعرض تلك الملكة على شعبه حيث ترى لآخر مرة زنوبيا التي حلمت بان تصبح امبراطورة الشرق تدخل المدينة مزدانة بالحلي والجواهر البراقة مكبلة بسلاسل من ذهب . ولن نجد عند العرب فيما بعد ملكة تضاهيها شهرة .

غير انه سيظهر بعد مضي قرن تقريباً على موت زنوبيا ملكة غسانية ذات بأس هي (Maura) التي ثبتت قدمها بين العرب عند موت زوجها ووقفت بوجه الامبراطورية الرومانية بين سنة ٣٧٣ و ٣٨٠ وكانت كزنوبيا تمتطي جوادها على رأس جيشها . وقد اصطدمت عدة مرات بجيوش الامبراطورية وخرجت منها جميعها ظافرة حتى اضطر الرومان الى قبول السلم الذي فرضتا عليهم ومن شروطها تثبيت مرشحها في ابرشية مملكتها المسيحية . وقد حافظت بعد ذلك على ولائها للرومان وكان لها ولفرسانها اليد الطولى في انقاذ القسطنطينية من زحف القوط .

ليس لدي ما يؤهلني لتفنيد مقال تاريخي مُسند كهذا . فالكاتبة مجهولة عندنا وغايتها تظهر محض علمية لا تتعدى رغبتها إظهار موقف العرب من بعض الشخصيات النسائية الفذة وقبولهم بحقهن بالملك.

غير ان لا بد لمقال كهذا من ان يثير تأملات حول المرأة بصورة عامة . فما لا ريب فيه ان جميع من ذكرت الكاتبة من نساء لم يقمن باعمال خارقة ولا هن برهنّ عن قوة خلاقة مبدعة . ولكن ألا يكشف خروج المرأة الى الحياة العامة في تلك العصور البعيدة عن وجود امكانات كامنة عندها تتحين الفرص للظهور وان في نفس المرأة مطامح غير ما فرضت عليها التقاليد وان في قلبها ظمأً لارتشاف كل ما تُقدم الحياة من غنى وجمال لا يقل عن ظمأ الرجل ولا يمكنها كبح جماحه عندما تسنح الفرص . اوليست تلك النزعة اللاواعية التي رمت بزنوبيا و(Mammæa)وغيرهما في معمعة الحياة هي نفسها التي نجد تعبيرها الواعي عند الـ (Féministes) في القرن الماضي والذي جر الى هذا الانغماس الطائش والانعتاق اللاواعي الذي نشهده اليوم عند المرأة في جميع مرافق الحياة انعتاق ليس بغريب عن هذه الفوضى التي يتخبط بها عالمنا اليوم وتدفع النساء ثمنه غالياً قبل اي مخلوق آخر .

هو صراع دخلته المرأة . فإما أن تكتشف في رشفها ينابيع الحياة عن نفس خلاقة مبدعة تساهم بها مع الرجل في تعمير الكون وتمشي معه يداً بيد وإما ان تُنهك قواها وترزح تحت هذا العبء الثقيل فتعود الى حياة العبودية الهانئة .

ان الجواب على هذه المعضلة هو رهين « الاختبار » وقد قررت المرأة ، وكأنها مدفوعة بقوة جبرية جامحة ، ان تخوض غمار الحياة مهما كلفها الامر . فالحل الصحيح هو ذلك الذي سينبثق من هذا الصراع العنيف لا ذلك الذي تمليه علينا مخيلتنا فنتشبث باراء واعتبارات تكهنية عن طبيعة المرأة وضعفها قد تكون وهمية خاطئة فتخور بها الحقيقة بدلاً من ان تجلوها .

اما نعت العروبة الذي تسبغه الكاتبة على جميع هؤلاء النساء الشهيرات فلعلها توسّعت في اطلاقه على خطة غير العلماء من المشتغلين بالشؤون الشرقية في زمننا الحاضر .

ر.ح.

مكتبة المشرق

كتاب الديارات

في الجزء الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري

تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا

القاهرة سنة ١٣٤٢ – ١٩٢٤

ذكر ابن خلكان في ترجمة الشابشتي مصنف كتاب الديارات المشهور ان في هذه الديارات مؤلفات كثيرة[1] ولكنه لم يشر الى ما تقدم منها او تأخر عن زمان الشابشتي وقد تتبعناها نحن في جميع المخطوطات والمطبوعات التي تسنى لنا الوقوف عليها في دور الكتب فلم نهتدِ الى غير سبعة منها فقط عددناها في صدر كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام »[2] ولا ندري هل وقف العمري على شيء منها فيما عدا ديارات ابي الفرج الاصبهاني والشابشتي والخالديَين التي ذكرها في غضون كتابه ولم يقتصر على تلخيص اقوالهم فيها بل اضاف الى صفحاتهم صفحات اخرى لا تقلّ عنها جزالة وتأنقاً وجودة اختيار للنكتة والنادرة دوَّن فيها اخبار الديارات التي عرفها او مرَّ بها في الشام وفلسطين فاتم بذلك ما كان ناقصاً واعاض عما كان ضائعاً.

وليس لدينا اليوم ديارات الاصبهاني والخالديين لنعلم هل احسن العمري النقل عنها ام تصرف بها لفظاً ومعنى كما هو الغالب عليه في كثير مما رواه عمن تقدمه ومما يرجح هذا الظن ما فعله في رواياته عن الشابشتي وهو السفر الوحيد والعقد الفريد الذي سلم لنا من كل تلك الاعلاق والنفائس التي اغتالتها ايدي الغير والحوادث ولكن لسوء الحظ اوهى الدهر نظامه ونثر بعض درره وسقط

١) وفيات الاعيان ص ٤٣٦

٢) ص ٤ – ٦

منه في النسخة المحفوظة في خزانة برلين[١] قسم من اوله واوراق في اثنائه ذهبت بذهابها خصوصاً اخبار ديارات الشام برمتها ولم ينجُ منها الا ذكر دير البخت فقط على قلة ما فيه ولعل النسخة التي كانت بين يدي العمري كانت لا تخلو ايضاً من بعض هذا النقص وصارت اليه غير كاملة او مشوّشة في وضعها لانه في كلامه على دير الحُوات نسب للشابشتي ابياتاً لجحظة زعم انه قالها في الدير اولها :

وحانة بالعلث وسط السوق . نزلتها وصارمي رفيقي . . .

ولم ترد هذه الابيات في نسخة الشابشتي في برلين وانما هي كما يتبين لاول وهلة مقولة في دير العلث لا في دير الحوات حسبما جاء غلطاً في الفهرس (ش) وقد اغفل العمري دير العلث ولم يشر اليه بحرف مع انه في الشابشتي يتناول تسع صفحات كاملة (ورقة ٣٩ — ٤٣) فضلاً عن وروده في معجم البلدان فلا ريب انه كان هنالك كلام على دير العلث يلي الكلام على دير الحوات فسقط من نسخة العمري او من قلم الناسخ وفات الانتباه اليه .

وقد قابلنا خصوصاً بين ما ذكره العمري وما هو مثبت في نسخة الشابشتي في برلين فوجدنا بين النصّين بعض التفاوت والايجاز في النثر وتقديماً وتأخيراً واختصاراً غير قليل في النظم وقد اشار الاستاذ المحقق الى بعض هذا الاختزال مرتين في ابيات ص ٣٦٤ و٣٧١ ومرة اخرى في متن ص ٣٦٣ وضُرب صفحاً عن مواطن كثيرة على شاكلتها . وبالاجمال ندر ان ترد في العمري ابيات عن الشابشتي دون ان تكون مبتورة او مبدلاً فيها على ما في هذا التبديل احياناً من وجه الصحة او يكون ناشئاً عن اختلاف في بعض الروايات او في النسخ المتداولة .

ولا بأس ان نورد ههنا مثالاً على هذا التغيير والاختصار يكون شاهداً على طريقة العمري في التصرف بالشابشتي قال في كلامه على دير سابر : «واورد الشابشتي فيه للحسين بن الضحاك اخباراً ظرافاً وانشد له اشعاراً لطافاً» ونقل على الاثر ستة ابيات نقتصر منها على هذه الثلاثة :

١) رقم ٨٣٢١

امـا ناجاك بالوتر الفصيح وأنَّ اليك من قلب الجريح
ألا يا عمرو هل لك بنت كرم هلم الى صفيـة كل روح
فقـام على تخاذل مقلتيه وسلسلها كاوداج الذبيح

وهذه الابيات في الشابشتي اثنا عشر بيتاً فيكون المنقول منها نصفها فقط وفي هذا النصف نصف آخر في كل بيت منه فرق غير قليل وهي في الاصل :

امـا ناجاك بالنظر الفصيح وأنّ اليكَ من قلب قريح
ألا يا عمرو هل لك في الصبوح هلم الى صفيـة كل روح
فقـام على تخاذل مقلتيه وسـل بالسنيح وبالبريح (ورقة ٢٣)

وقد سكت الاستاذ المحقق عن كل هذا الاختلاف ونظائره مع ان نسخة الشابشتي كانت لديه .

وربما تعدى هذا التبديل والاقتصار الى النثر احياناً واحال بعض معانيه كقول العمري في دير قوطا « قال الشابشتي : وهذا الدير يجمع اموالًا كثيرة من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه اهل البطالة فيه »[1] وانما قال الشابشتي « وهذا الدير يجمع احوالًا كثيرة منها عمارة البلد وكثرة فواكهه ووجود ما يحتاج اليه فيه ومنها أن الشراب مبذول هناك والحانات كثيرة ومنها ان في هذا الموضع ما يطلبه اهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان والبقـاع الطيبة النزهة » (ورقة ٢٥) وشتان بين الاموال والاحوال في القولين .

وقريب من هذا الاختصار المخلّ قول العمري في دير الخوّات « وعيده الاول من الصوم قال الشابشتي : وتسمّى ليلة الماشوش »[2] وليس في العبارة ذكر لمرجع الضمير في تسمّى وهي في الشابشتي « وعيده الاحد الاول من الصوم وفي هذا العيد ليلة الماشوش » (ورقة ٣٨) وعلى ذكر هذه الليلة التي كثر فيها الكلام واحتدّ المراء والخصام لا بأس ان نضيف الى ما سبق لنا نشره في كتابنا الديارات في الاسلام (ص ١٠٩–١١٢) من شهادات اهل السنّة والشيعة في تبرئة رهبان الديارات من خزية الماشوش واثباتها على بعض فرق اهل البدع والخوارج في الاسلام حجة اخرى دامغة ناطقة بنسبة الماشوش ايضاً الى بعض

١) مسالك الابصار ٢٨٠
٢) « « ٢٨٢

المتصوفة في القرن الرابع للهجرة وقفنا عليها اخيرًا في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي وهي تقطع قول كل خطيب وتسد فم كل متحامل عدوّ كالمقالة البذيئة التي نشرتها «مجلة الرسالة» في القاهرة اخيرًا لاحد لصوص المملمين الحمقى في بغداد[1] قال التنوخي بالحرف الواحد:

«خبرني جماعة من اهل العلم ان بشيراز رجلًا يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته الوف من الناس وانه فاره فيهم حاذق وانه قد استغوى الضعفى من الناس الى هذا المذهب قال: فمات رجل صوفي من اصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمها غيرهن فلما فرغوا من دفنه وصل ابن خفيف وخواص اصحابه وهم عدد كثير الى الدار واخذ يعزي المرأة بكلام من كلام الصوفية الى ان قال: أعزيت وقال لها: ههنا غير؟ فقالت: لا غير. قال فما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم؟ ولاي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الانوار وتصفو الارواح وتقع الاخلافات وتنزل البركات؟ فقالت النساء «اذا شئت» فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحرًا خرجوا قال التنوخي: (قوله ههنا غير؟) اي ههنا غير موافق في المذهب؟ (فقالت: لا غير) اي ليس من يخالف.

(قوله: نترك الامتزاج) كناية عن الوطء من المازجة.

(قوله: لتلتقي الانوار) على اصلهم ان في كل جسم نورًا الهيًا.

(قوله: الاخلافات) ان يكون لكل خلف ممن مات او غاب من ازواجكن.

وهذا عندي عظيم ولولا ان جماعة خبروني يبعدون عندي من الكذب ما حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله ان يجري في بلد الاسلام وبلغني ان هذا ومثله شاع حتى بلغ الامير عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جماعة منهم وشتت جموعهم فكفوا»[2]

ولا يخفى على احد ما لهذه الشهادة الجليلة من مثل القاضي التنوخي من القدر والخطر والرجحان في كفة الحكم والقضاء الفصل في الحقائق التاريخية ولا نعلم ان نظيرًا لها في كل ما روي من اوصاف المانشوش وفضائح الاخلاق ولا محالة ان شيراز لم تنفرد بهذه المخزية وكان لها بين ارباب البدع والمتصوفة في سائر البلاد اشباهًا ونظائر سكت عنها المؤرخون[3] او لم يقيض لها من يجترى.

١) مجلة الرسالة ١٥: ٢٢ سنة ١٩٤٧ ومجلة المشرق بيروت ١٩٤٧: ٢ ص ٤٣٧–٤٤١

٢) مجلة المجمع العربي بدمشق ١٧: ٢٦١–٢٦٣.

٣) قال المقدسي في كلامه على مدينة سيراف «وحُدِّثت عن نسائهم بشيء قبيح» وقال عن نساء هراة «يقال ان نساءهم يتَلبسَن اذا ازهرت اشجار النبراء كما تغتلم السنانير»

على نقل اخبارها وكشف عوارها وحسبك من شر سماعه».

ويشبه ما تقدم من النقص والتشويش في الكلام على دير الخوات ما جاء للعمري في تعريفه دير قنى ودير العاقول قال «دير قنى وهو ببغداد والمدائن ودير العاقول اسفل منها باثني عشر فرسخاً» (٢٥٦) وما ندري كيف يمكن ان يكون دير قنى في بغداد والمدائن معاً وبين البلدين في قول ياقوت ستة فراسخ[1] ولا كيف يكون ايضاً في بغداد وقد صرح الشابشتي انه «على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه وبين دجلة ميل ونصف وبينه وبين دير العاقول بريد (ورقة ١١٦) ولا يخفى ما في نص العمري كما هو مطبوع من الغموض والقلق مع قول الاستاذ انه قُرئ على المؤلف نفسه فيتحتم ان يكون قد سقطت منه بعض عبارات نشأ عن سقوطها هذا الاضطراب والتناقض.

وقد كان ينتظر من الطابع ان ينبه على كل ذلك واشباهه لما في هذا التنبيه من الشأن والفائدة في التعريف بهذا الكتاب الذي خدمه هذه الخدمة الجلى واغناه بكل هذه الحواشي والاستدراكات بيد انه لو كان اعار بعض هذه المصادر والمراجع التي رد اليها المطالع نصيباً أوفر من الاعتبار والالتفات وعارض بين ما ورد فيها وما تمثل له في نسخة العمري لكفى نفسه بعض مؤونة هذا العناء الشاق الذي تحمله في التخريج والتعليل وتيسر له تقويم بعض الاغلاط من اقرب سبيل وقد روى بيتاً للصنوبري من قصيدة قالها في دير زكى وصف به البهار فقال :

وبهار مثل الزنانير عفو ف بزهر الخيري والحوذان

ومن البين الواضح ان ليس للزنانير محل في هذا التشبيه وان اللفظة محرفة عن الدنانير ولو القى نظرة واحدة على الشابشتي الذي كان له على طرف الثمام لقرأ فيه «وبهار مثل الدنانير» واستغنى عن هذه الشروح والتأويلات التي شغل بها مقدار صفحة من باب التصحيحات وبقي بعدها متردداً بين الزنانير والزنابير والدنانير (ص ١٠) ومثله ما ذكره في تصحيح عمر عسكر بعمر كسكر

١) معجم البلدان ٤: ٤٤٧ (احسن التقاسيم ٤٣٧ و٤٣٧)

(ص١٣) واللفظة واردة بهذه الصورة في الشابشتي وياقوت فلم تكن من ثم حاجة الى التوقف للاستفتاء بشأنها .

وابلغ من ذلك ما عاناه في تفسير قول ابي الفرج الاصبهاني في كلامه على دير اللج « ان النعمان كان يركب في كل احد اليه وفي كل عيد معه اهل بيته .. فاذا قضوا صلاتهم انصرف الى مستشرفه على النجب » (ص ٣٢٦) قال في التصحيحات « ومن الاسف انني لم اعثر على كتاب الديارات لابي الفرج لتثقيف هذه الكلمة « النجب » والحكاية غير واردة في الاغاني واني اتخيل انها محرفة عن النجف (ص١٤) قلنا ومن أولى دواعي الاسف ان يتطلب كتاب الديارات لابي الفرج وهو مفقود ولا يخطر بباله ان يراجع كتاب معجم ما استعجم للبكري وهو موجود بل من الغريب ان يكون هو الدال على الصواب ولا يتبعه ويكون اول من اشار على المطالع في حاشية (ص ٣٢٦) التي علقها على دير اللج ان ينظر في كتاب البكري ص٣٦٦ ولا يكلف نفسه النظر في هذه الصفحة عينها ولو فعل لقرأ فيها قول ابي الفرج « فاذا قضوا صلاتهم انصرف الى مستشرفه على النجف » ولاضرب صفحاً عن هذه الصفحة الكاملة التي تكلفها لاثبات ما اصاب في تخيله . وقد كان يكفيه ان يتذكر قول اليعقوبي : الحيرة على النجف والنجف كان ساحل البحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة (كتاب البلدان طبعة ليدن ص٩٣) .

ومما فاته استدراكه دعوى العمري في دير البغل شمالي دير شمران بمصر (ص ٣٦٩) قال في الحاشية « انظر ما اورده ابو صالح الارمني (ص ٦٣) وقد راجعنا هذه الصفحة فلم نجد فيها ذكراً لدير البغل وغاية ما هنالك انه كان في دير القصير بظاهر القاهرة بغل يُستقى عليه الماء . فليس ثم اقل اشارة الى دير كان في القرن السادس للهجرة يعرف بدير البغل واول ما وقفنا على هذا الاسم كان في بعض تواريخ مصر في القرن الثامن . قال المقريزي في كلامه على الملك ارقاديوس حين تطلب ارسانيوس لتعليم ولده بعد ان تحول الى جبل المقطم « فبعث اليه ارقاديوس فاذا هو قد مات فأمر ان يبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويعرف الآن بدير البغل من اجل انه كان

به بغل يستقى عليه الماء. فاذا خرج من الدير الى المورد وهناك من يملأ عليه فاذا فرغ من الماء تركه فعاد الى الدير »[1] فالديران اذن واحد وقد وهم العمري في التمييز بينهما وتعيين كل منهما على حدة كأنه قائم بنفسه ومن الغريب ايضاً زعمه ان بهذا الدير دير البغل جماعة من الرهبان اليعاقبة مع انه ما برح وطناً لرهبان الروم الملكية.

ومن اسماء الاديار التي نقل العمري تحديدها عن الشابشتي وخالفه قليلاً في رسمها فكان هذا الخلاف سبباً لوهم الاستاذ فيها دير مار يوحنا وكان في الاديار ديران عرف كل منهما بهذا الاسم ولكن فُرّق بينهما في الرسم الاول بجانب تكريت على دجلة وهو المشهور بدير مَرِيحنا (بياء قبل الحاء) ذكره الشابشتي في ديارات العراق (ورقة ٧٤) وانشد فيه ابياتاً لعمرو بن عبد الملك الوراق اولها:

اری قلبي قد حنّا الى دير مريحنا

وعنه نقل ياقوت (٢: ٧٠١) والدير الآخر على شاطئ بركة الحبش بمصر وكان معروفاً بدير مَرحنا (بحاء دون ياء) وفيه يقول ابن عاصم من قصيدة:

اقرأ على دير مرحنا السلام فقد ابدى تذكره مني صبـاباتي

وهو في الشابشتي (ورقة ١٢٧) وفي ياقوت (٢: ٦٩٨) ولو راجع الاستاذ احد هذين الكتابين لتبين له الفرق ولكنه اعتبر مجرد الرسم فوهم وذكر في تعليقه على دير شاطئ بركة الحبش « انظر ياقوت (٢: ٧٠١) » مع ان المذكور في هذه الصفحة هو الدير الذي على دجلة.

ومثل هذا الالتباس الناشئ عن التقارب في الرسم ما ورد له في حاشية دير الباعوث على شاطئ الفرات (ص ٢٦١) قال « لم يذكره الشابشتي واما ياقوت فقد سماه دير باغوث بالمعجمة وبدون اداة التعريف واقتصر على القول بانه دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر (٢: ٦٤٦) » قلنا فهذا الدير اذن ليس بذاك وكل منهما في واد واذا كان ذكر الاول قد سقط من نسخة الشابشتي في جملة الديارات الساقطة فهو باق محفوظ في ياقوت وقد سماه دير مرماعوث بالميم (٢: ٧٠٠) وكلامه فيه هو نفس الكلام الذي نقله العمري بالحرف في دير الباعوث بالباء. فالديران من ثم واحد وان تباينا

١) الخطط ٣: ٥٠٢ — ٥٠٣

قليلًا في الرسم ويؤخذ من الابيات التي استشهد بها في التعريف به ان صحة اسمه هي دير مرماعوث او مرباعوث وهي في العمري :

يا طيب ليلة دير مرباعوث فسقاهُ رب العرش صرف غيوث
وموزّد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
حاولت منه قبلة فاجابني يا حسن ذا التذكير والتأنيث

ورواية ياقوت اتم واصح وهي :

يا طيب ليلة دير مرماعوث فسقاه رب الناس صوب غيوث
ومورد الوجنات من رهبانه هو بينهم كالظبي بين ليوث
ذي لثغة فتانة فيسمي الطا ووس حين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فاجابني لا والمسيح وحرمة الناقوث
اتراك ما تخشى عقوبة خالق تمشيه بين شمامث وقثوث

وقد كان يجب التنبيه في الحاشية على كل هذه الاختلافات والتصحيحات لمكانتها وفائدتها كما لا يخفى .

وفي جملة الاعمار الواردة في الشابشتي عمر مربونان بالانبار كذا بدون اعجام كامل (ورقة ١١٣) وقد ضبطه العمري مرتومان (ص ٢٨٦) بتاء اولى وميم ثالثة ولم يسبق قط استعمال هذه الصيغة في تسمية مار توما فضلًا عن ان في الشابشتي ذكرًا خاصاً لدير ورد مرسوماً في نسخة برلين هكذا : برتوما (ورقة ١٣٣) تصحيف مر توما كما جاء مثبتاً في ياقوت (٢ : ٦٩٧) فلا شك ان العمري اساء النقل وعذره في مثل هذه الاسماء الاعجمية واضح وبدلًا من مرتومان تتحتم قراءة مر يونان بياء وواو ونون ولو لم يرد في ياقوت دير بهذا الاسم على اننا بعد البحث والتنقيب وجدنا له ذكرًا في اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان المطبوع في رومة سنة ١٨٩٩ قال في خبر بريعشمين الجاثليق « وفي هذه الايام ظهر مار يونان صاحب عمر الانبار وهو تلميذ مار اوجين» (ص ٢٦) فلم يبق اذن اقل ريب في صحة اسم مار يونان .

ومن الاديار التي وقع الوهم في ضبطها دير صباعي على شاطىء دجلة شرقي تكريت فقد ورد في الشابشتي « ضُباعي » بالضاد المعجمة المضمومة والياء المثناة (ورقة ٧٥) وفي ياقوت « صباعى » بالصاد المهملة دون ضبط

والالف المقصورة واستشهد عليه ببيت لبعضهم قال فيه :

حنّ الفؤاد الى دير بتكريت الى صباعى وقس الدير عفريت ٣ : ٦٧٤

ونقله الاستاذ المحقق في نسخة العمري « صُباعى » بالصاد المضمومة والباء المخففة ولكنه ضبطه بعد ذلك بالياء المشددة في بيت لبعض لصوص بني شيبان قال فيه :

الا يا ربّ سلّم دير صُبَّاعا وزد رهبان هيكله اجتماعا

ووزن الشعر على هذه الرواية لا يستقيم والمعوّل عليه في ضبط هذا الاسم دير صُبّاعي نسبة الى مار شمعون بن صبَّاعي او بَرْ صبَّاعي كما يقال في الآرامية وهو الجاثليق الشهيد على عهد ملك الفرس سابورهرمز[1] ثم تعاورت اللفظة افواه العامة وألسنة الشعراء فقيل فيها برصباعي وبرصباعا بالتخفيف ومن ثم لا نشك ان صحة البيتين السابقين يجب ان تكون :

في الاول :

حنّ الفؤاد الى دير بتكريت لِبَرْ صباعي وقس الدير عفريت

وفي الثاني :

الا يا رب سلّم بر صباعا وزد رهبان هيكله اجتماعا

ومثل هذا التحريف الذي تناول كل كتب الديارات المعروفة قولهم في الدير الذي كان في باب الشماسية ببغداد قرب الدار المعزّية « دير دُرْمالس بضم الدال كما في الشابشتي (ورقة ١) او دَرْمالس بفتحها كما في ياقوت (٢ : ٦٦) او درمالس بالواو بدلًا من الراء كما في العمري (ص ٢٥٧) والصحيح في كل ذلك رومانس بالراء والواو والنون وهو من الاسماء التي كانت معروفة في الشرق .

ونظيره كتابتهم دير بُونَّى بالباء الموحدة للدير الذي كان بجانب غوطة دمشق وهو من الاديار الساقطة من نسخة الشابشتي في برلين ولا ريب انه كان مرويًا فيها بهذه الصورة لان ياقوت الذي نقل عنه اورده في معجمه في حرف الباء الموحدة (٢ : ٦٤٩) ومثله العمري (٣٥١) والصواب يُونَّى بالياء المثناة

١) طالع ترجمته في اخبار بطاركة كرسي المشرق المطبوع في رومة من كتاب المجدل لعمرو بن متى ص ١٥—٢٠ ولماري بن سليمان ص ١٦-٦١

اي يوحنا وربما قيل احياناً ياونّى باشباع الفتحة لضرورة الشعر كما في بيت ابي صالح عبد الملك بن سعيد الدمشقي :

تمليّتُ طيب العيش في دير ياونّا بندمان صدق كملوا الظرف والحسنى

وقد روي فيه بالباء الموحدة غلطاً .

وايسر خطأً مما تقدم اثباته عمر اخويشا باسعرد بالخاء المعجمة بدلاً من الحاء المهملة كما في الشابشتي وياقوت وهي الرواية الصحيحة قال الشابشتي : « وتفسير احويشا بالسريانية الحبيس » (ورقة ٨٦) فيكون معنى الاسم دير الحبساء. وقد وهم في هذا الموضع ايضاً بضبط اسعرد بفتح العين وهي في كل كتب البلدان بكسرها ويقال فيها ايضاً سعرد وسعرت .

وفي ضد ذلك انتقدت عليه مجلة المجمع العربي بدمشق (١٩٢٦/٦ ص ١٨٨) رواية دير بلوذان بالذال المعجمة لاعتقادها ان الضبط الصحيح بلودان بالدال المهملة كما يتلفظ بها اليومُ والحقيقة ان القرية التي ينسب اليها الدير كانت فيما يظهر معروفة في عهد العمري بالذال المعجمة كما ضبطها مرتين في النثر والشعر (ص ٣٥٨) ووردت كذلك في بيت لمحاسن الشوا الحلبي من قصيدة قالها في دمشق رواها ابن شاكر الكتبي في مجلد من عيون التواريخ في خزانة باريس (رقم ١٥٨٧ ص ٦٧) جاء مروياً بالضبط الكامل :

حَيّيا ساكني بلوذان أعني ورجالاً بدير قانون زهرا

ومن الابيات التي استشهد بها العمري في الكلام على دير فيق من ارض الاردن ابيات نقلها عن الشابشتي بعد ان بتر اكثرها وهي مطلع قصيدة لابي نواس من اظرف قصائده يخاطب بها غلاماً نصرانياً كان يهواه ناشده فيها بكل مخرج من الايمان التي كان يمكن ان يُقسَم بها على نصراني في عهده ومنها اخذ مدرك الشيباني ما اخذه وحلف به عمرو بن يوحنا في مزدوجته المشهورة (من عاشق ناء هواه دانِ) وهذه ابيات ابي نواس كما جاءت مطبوعة في مسالك الابصار (ص ٣٣٧) :

بعمودية الدين العتيق بجرطليطها بالجاثليق

تحجل قاصداً ماسرجسان فدير النوبهار فدير فيق...

لقد اصبحت زينة كل بكر وعيداً مع جفانك والمقوق

وقد غلب التحريف والخطأ على هذه الابيات وشوّه محاسنها بحيث لا يتوجه لها معنى صحيح واول ما يعترض الناظر فيها ذكر « الدين العتيق » ولا يدرى ما هو بالحقيقة وانما اراد ابو نواس « الدير العتيق » بالراء من الاديار القديمة النسطورية بناحية المدائن وقد فات معجم البلدان ذكره قال اليعقوبي من اهل القرن الثالث للهجرة « لم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحاله الى هذا الوقت يتزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية»[1] وفي الشطر الثاني لفظة اعجمية غريبة وهي مرطبليط واول ما يبدر الى الذهن في تفسيرها انها مار طبليط احد اولياء النساطرة وقديسيهم في العراق الذين يُستشفع بهم وما الكلمة الا تحريف مطروبوليط اي متروبوليت احد الالقاب التي تطلق على رجال الدين النصارى ومنها اختُصر لقب المطران وهو دون الجاثليق فيكون تصحيح البيت الاول :

بعمودية الدير العتيق بمَطْرُبليطه بالجاثليق

وتصحيح البيتين التاليين :

بحجك قاصداً ماسرجساني فدير النوبهار فدير فيق

لقد اصبحتَ زينة كل دير وعيد مع جفانك والمفوق

والباء في قوله بحجك كالباء في البيت الاول متعلقة بفعل القسم المضمر والمعنى على هذا الوجه واضح لا اشكال فيه ٠

ومن الاديار التي تحرفت اسماء مواقعها في نسخة العمري دير سمعان قال « هذا الدير في قرية تعرف بالبقرة من قبلي معرة النعمان (ص ٣٥٢)وانما اسم القرية في الحقيقة « النقيرة » واليها كان ينسب الدير قال ياقوت « دير النقيرة في جبل قرب المعرة يقال به قبر عمر بن عبد العزيز والصحيح انه في دير سمعان[2] (بدمشق) ٠

وقد وقع التصحيف ايضاً في تخطيط دير الثعالب من ديارات العراق قال العمري « هو في الجانب الغربي من بغداد بباب الحديد (ص ٢٧٧) والصواب

١) كتاب البلدان ٢٣٥
٢) معجم البلدان ٢: ٧٠٤ و٦٧١-٦٧٢

باب الحديد بالحاء المهملة كما في ياقوت (٢ : ٦٥٠) والشابشتي (ورقة ٨) وللناشي في هذا الباب :

يا ليالي اللذات بالله عودي بين قيرونيا وباب الحديد .

وقريب من ذلك قول العمري في عمر اتراعيل « هو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة » (ص ٢٨٧) وفي الاصل دون ريب عُمر كبير اي دير ومثله قول الصنوبري في دير زكي :

حبذا المَرْج حبذا العُمْر لا بل حبذا الدير حبذا السروتان (ص ٢٦٦)

بضبط العمر بالعين المفتوحة بدلاً من ضمها واما المرح فقد توقف في امرها وقال في الحاشية « لعلها المرج » بالجيم والصحيح الكرخ وهي المحلة المشهورة ببغداد .

وقال ايضاً في دير اسحق « هو بين حمص وسلمية . . . الى جانب ضيعة صغيرة يقال لها جَذر » (ص ٣٢٨) بالذال المعجمة الساكنة والمشهور انها بالدال المهملة المفتوحة وكذلك هي في قول الاخطل « من قهوة عتّقتها حمص او جَدَر » كما في ديوانه وفي دير اسحق هذا بيت لعبد الرحمن الهاشمي السلماني :

واذا مررتَ بدير اسحق فقل جادتك غير سحائب وبروق

وهو على هذه الصورة دعاء عليه لا له والصواب « جادتك غيثُ سحائب وبروق » .

ومن الاعلام التي تناولها التعريف ايضاً ما رواه عن الخالدي من قول الوليد ابن يزيد آخذين « غنيتني البارحة في آخر المجلس وقد اخذ الشراب مني بشعر صاحبكم عيسى بن زيد . . . قال فاخذ حنين رقاقة ووقع عليها وغنى :

يا لُبينى اوقدي النارا ان من تهوين قد جارا (ص ٣٥٠)

وهذا البيت مشهور لعدي بن زيد لا لعيسى وكل من رواه له كما في كتاب الاغاني وغيره رواه « قد حارا » من الحيرة والضلال كما يقتضيه المعنى لا من الجور .

واقبح من هذا ما حكاه عن ابي الفرج الاصبهاني في كلامه على دير مارت مريم بالحيرة قال « كان قس يقال له يحيى بن حمار (ص ٣١٨) بدلاً من

« كان قس يقال له يحيى واه ابن خمّار » اي بائع خمر حسبما نقله البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩ – ٣٧١).

ومن فوائد معارضة العمري بالشابشتي وياقوت وقد اخلّ بها الاستاذ الطابع امكان الاستعانة بها ولا سيما بالشابشتي لترجيح بعض الروايات وتصحيح بعض الغلطات في سياق الابيات المستشهد بها وهذا اهم ما وقفنا عليه منها نورده على ترتيب الصفحات:

ص٢٧٥س١٤ حتى حسبت لنا البساط سفينة والبيت ترقص حولنا حيطانه

والارجح رواية الشابشتي (والدير ترقص).

٢٧٨–٢ هل عند قسك من علم فيخبرني ام كيف يسعد وجه الصبر من خانا

وفي الاغاني والشابشتي وياقوت والبكري (من بانا) وهو الصحيح

٢٨١–٥ ترنم الصيف بعد عجمته وانصرف البرد في ازمته...
ومن وفى وعده بزورته وبت اوفي له بذمته

والاصل كما ورد في الشابشتي (ترنم الطير بعد عجمته) في شطر البيت الاول (ووفى بميعاده وذمته) في شطر البيت الثاني.

٢٨٣–١٢ واحيت لذة الكاس ولكن قتلت سكرا

بضبط اللذة بالنصب بدلًا من (لذةُ الكأس) بالرفع على الفاعلية.

٢٨٧–٦ فاغتنم غفلة الزمان وبادر واقترض لذة الليالي القصار

وفي الشابشتي (واقترص) كذا دون اعجام ولا نتوقف عن قراءتها (وافترص) من الافتراص وهو انتهاز الفرصة كما يقتضيه المقام.

٢١١–٣ . فلم يزل في رياض العمر يعمرها قصفًا ونعمرها اللذات والطرب

والرواية الصحيحة في الشابشتي:

فلم تزل في رياض العمر نعمرها قصفًا وننعمرنا اللذات والطرب

٢١٧–٩ حتى يظل الذي قد بات يشربها ولا براح به يختال كالمرح

وفي الشابشتي ونهاية الارب للنويري (٤: ١٠٠) (ولا مراح) بالميم كما يقتضيه قوله يختال كالمرح.

٢٢٤–١٨ رأيتك من تعقد له حبل ذمة من الناس يأمن سرجه حيثما ارتقى

وفي الشابشتي وديوان النابغة (من الناس يأمن سرحه حيث اربما).

٢٣٨-١ فاي زمان بهم لم يُسَرّ واي مكان بهم لم يطب

٢٣٨-٥ نغث الكؤوس بامزاجه ورسوم ارماله بالعجب

وفي الشابشتي (فاي زمان بهم لم يُسرّ) ببناء يسر المعلوم (ومزموم ارماله والنصب).

٢٣٩-٥ واقبل الليل لابساً حللا مسكية ما لهن اذيال

وفي الشابشتي (واقبل النجم لابساً حللا) وهو الاصح.

٢٤٧-٤ ياديريونس جادت سرحك الديم حتى ترى ناظراً بالنور يبتسم

وفي الشابشتي (حتى تُرى ناضراً بالنور تبتسم) وهو الاشبه والاولى.

٢٦٤-٧ فسقى الله ارض حلوان فالنجـــد فدير القصير صوب المشار

وفي الشابشتي ويتيمة الدهر للثعالبي:

فسقى الله ارض حلوان فالنخـــل فدير القصير صوب المشار

وهو الصحيح المشهور

وهنالك ابيات شتى لم ترد في الشابشتي ولا يصعب تسديدها وهي:

٢١٦-١٠ اشهى الي من الصراة وطيبها عند الصباح ومن دُجى البطريق

والصراة معروفة مشهورة ولكن دُجى البطريق نكرة غير معروفة ونحن على يقين ان الاصل كان «رَحى البطريق» وهي رَحىً كان قد بناها بطريق من بطارقة الروم فنسبت اليه. كما ذكره اليعقوبي في كلامه على بغـداد في كتاب البلدان.

٢٦٣-١٢ وكانت هَناة لي الويل من جناها الذي خطه كاتبي

وقد جاء هذا البيت ايضاً في ارشاد لياقوت (١:١٥٧) مطبوعاً على هذه الصورة برسم هناة بالتاء المربوطة ومعناها في اللغة الداهية ولا محل لها هنا والوجه رسمها (هِنات) بتاء الجمع المبسوطة اي هفوات وسيئات وهي ما يدل عليها قوله في بيت سابق:

سقاني المدامة مستيقظاً ونمت ونام الى جانبي

٢٦٧-٢ وجار مثل الزنانير نحو ف بزهر الخيري والحوذان

وقد تقدم تصحيح الزنانير من هذا البيت بالدنانير وبقي فيه ان (الخِيري) بكسر الخاء لا بفتحها و(الجُرذان) بفتح الخاء لا بضمها.

٢٦٧-٧ تضاحكها الفرات بكل فج فتضحك عن نضار او لجين

والصواب يضاحكها كما لا يخفى وقد سبق له تأنيث الفرات مرة اخرى في كلامه على دير الباعوث قال «وهو على شاطئ الفرات من جانبها الغربي (ص ٢٦١) بدلاً من جانبه.

٢٨٤-١١ ما ابعد الرشد من قلب تضمنه قُطرُبُلٌ فقرى بنّا فكلوا ذا

كذا ورد مضبوطاً في ياقوت وبعض كتب البلدان بفتح الراء. ولكن المرجح في دواوين اللغة قُطرُبُل بضم الاول والثالث وورد على هذه الصورة في شروح ديوان ابي الطيب المتنبي في قوله «سقتني بها القطربليّ مليحة» ومن ثم فتصحيحه في باب التصويبات (ص ١٠) قطرُبل بقطرَبل غير مأثور في المتعارف المشهور.

٢٨٨-١٩ ودارت نُخَبُ الابطا لِ بيت بحلى الشرب

والصواب (نُخَب الارطال) وقد اشار الى هذه النُّخَب محمد ابن حازم الباهلي بقوله:

بعمر كبرطاب اللهو والطرب والباذكارات والادوار والنُّخَبُ (ص ٢١١)

٢٩٢-٣ وقلاليُ الدير الذي لولا النوى لم أربهما بقليّ ولا بعقوق

كذا بضم الياء من قلالي والبيت للسري الرفاء ومثله لا يستجيز هذه الضرورة المستقبحة والقلالي في قوله هي منصوبة على انها مفعول معطوف على بيت سابق اسقطه العمري وهو:

ام هل ارى النصرَ المنيف معمماً ببرداء غيم كالرداء رقيق

٢٩٥-١٠ وكتّب في لازُوَرْد الدجى بزَنْجُفره وبزنجاره

بضم الزاي من لازورد وفتحها من زنجفر والوجه العكس اي (لازَوَرْد) بفتح الزاي و(زُنْجُفر) بضم الزاي والجيم.

٢٩٥-١٨ بسط البنفسج ... نُبسط في صحون آس وخيريات تفاح

وقد سقطت كلمة بعد قوله البنفسج واظنها (الخيري) فتكون صحة البيت :

بسط البنفسج والخيري نُبسط في صحون آس وحيريات تفاح .

والحيريات بالحاء لا بالخاء نسبة الى الحيرة ولا ذكر لها في كتب اللغة والمولد كتب لنا الاب المرحوم انستاس الكرملي انها اطباق كانت تصنع بالحيرة من قضبان الخلاف او الصفصاف او الرمان وتتخذ لوضع الاثمار والفواكه وقد عثرنا في مطالعاتنا على شاهدين لهذه اللفظة في تاريخ بغداد للخطيب وتاريخ المنتظم للجوزي قال الخطيب : « سمعت الجُنيد يقول : وافى ابو حمزة (الصوفي) من مكة وعليه وعثاء السفر فسلمت عليه وشهّيته قال : سكباج وعصيدة تخليني بها فاخذت مكوك دقيق وعشرة ارطال لحم وباذنجان وخل واخذت عشرة ارطال دبس وعملنا له عصيدة وسكباجة وضعناها في حيري لنا وادخلته الدار واسبلت الستر فدخل واكل كله فلما فرغ من اكله قال لي : يا ابا القاسم لا تعجب فهذه من مكة الاكلة الثانية »[1] .

وروى الخطيب ايضاً « ان ابا بكر بن الانباري مرض فدخل عليه اصحابه يعودونه فرأوا من انزعاج ابيه وقلقه عليه امراً عظيماً فطيبوا نفسه ورجوا له عافية ابي بكر فقال لهم : كيف لا اقلق وانزعج لعلة من يحفظ جميع ما ترون واشار الى حيري مملوء كتباً »[2] وورد مثل ذلك في المنتظم .

ويؤخذ من هذين الشاهدين ان الحيري كان كالاطباق او كالسلال تحمل فيه الفواكه والخضراوات والمآكل وتوضع فيه الكتب والمسموعات كالقمطر .

-٢٩٦-٢ حتى تحيّر خماري بمرفقي وحيّرت مُلحي بالسكر ملاحي

والاصل لا شك (حيّرت) بالياء المثناة المشددة وقد تكرر له مثل ذلك في قوله (وفيهن كل عذراء تدهش المتحيّر (ص ٣٢٤) بدلا من المتحيّر كما هو ظاهر .

-٣٠١-٩ اذ على سطحك سيف الدولة القرم الذي فاتَ الورى عزا ومفخر

بكسر القاف من القرم والوجه فتحها .

---

١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١ : ٣٩٢

٢) « « « « ٣ : ١٨٢ والمنتظم للجوزي ٦ : ٢١٣

٣٠٦-٩ وصبّحت خمر الزعفران بصنجة اعاشت سرور القلب بعد مماته

ولا معنى لصنجة هنا والاصل دون ريب (بصحبة).

٣١٣-١٤ يتساده كل مجنوّ بمارقة من الدهان عليه سحق امساح

وهو على هذه الرواية الغريبة لايتضح له معنى والصواب (محفوّ مفارقه) بالحاء المهملة من الحفو وهو المبالغة في قص الشعر والبيت لابي نواس يصف رهباناً حلقوا اوساط رؤوسهم.

٣١٤-١ حتى اذا انطق الناقوس بينهم مزيّن الخصر رومي القرابين

ولا يشك ان الاصل كان (مزنّر الخصر) كناية عن انه نصراني وهو ما اثبته بقوله «روميّ القرابين» وقد تقدم في ص٣٠٨ بيت لبكر بن خارجة في غلام نصراني من اهل الحيرة قال فيه:

زنّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

٣٢٦-٨ احوى اغنّ اذا تردد صوته في مَسمع رد احتجاج ذوي الحجى

بضبط مَسمع بفتح الميم والقياس (مِسمع) بالكسر بمعنى الاذن.

٣٤٠-١٢ نزعوا القلانس والمسوح فزخرفت مهن عن غرر الشموس وجون

والتحريف فيه ظاهر والاصل (فزُحزحت) و(دُجون) جمع دجن بمعنى الظلام.

٣٤٥-٨ امه ممروفة وابوه نكرة

والمشهور (امه معرفة).

٣٤٩-٣ يسقي الشمول ولا كريقة ثغره سكرى بها وبطرفه الفتان

والمعنى يقتضي (سُكري بها) بضم السين والاضافة الى ياء المتكلم.

٣٥٥-٩ يادير مُرّانا لاعُرّيت من سكن قد هجتَ لي حزناً يا دير مرانا

وهذا البيت احد ابيات للحسين بن الضحاك نظمها بامر الرشيد وهي في الحقيقة مقولة في دير مِديان بالقرب من بغداد لا في دير مرّان بدمشق ويدل على ذلك قوله في آخرها.

سقيا ورعيا لكرخايا وساكنها بين الجنينة والروحاء من كانا (ص٣٧٨)

وكرخايا في العراق لا في الشام.

-٢٥٥-١٠ حثّ المدام فان الكأس مترعةٌ   مما يهيج دواعي الشوق احيانا

بنصب مترعة والقياس الرفع.

-٢٧٩-٩ ونأكل السَلُّور والشَّبُّوطا   والفرخ والملوخ والمسموطا

باجراء السلور والشبوط على وزان واحد والمعروف في الاول (السِلّور) بكسر السين وفتح اللام.

واما في النثر فهذا ما رأينا فائدة في التنبيه عليه:

-٢٥٥-١٠ قلعة أرَدْمُشت بفتح الدال والمشهور في ضبطها (أَرْدُمُشْت) بالضم

-٢٥٨-١١ « فوجه اليها عشرين دَنًّا شرابًا ومائة دجاجة وعشرين حملًا وفاكهة » قال في التصويبات « في الاصل : فوجّه اليها . . . وعشرين حملًا وسابح فاكهة» فاولًا كلمة اليها يجب جعلها « الينا » كما يحتمه السياق . . . وثانيًا كلمة« وسابح » عليها في نسخة الام نقطة من المداد جعلتني اتخيل ان المؤلف ضرب عليها بالقلم فلذلك اهملتها في الطبع ولا سيما اني لم افهم لها معنى وقتئذٍ لكن الامانة اوجبت علي المراجعة عنها والتدقيق فيها وقد وجدت ان صاحب القاموس اشار في مادة (ن ب ج) الى ان النبج هي الغرائر السود اي الجوالق والركائب فتكون الفاكهة حينئذٍ من النواشف اي من نوع النقل ويكون ابن فضل الله قد اراد الرجوع عن جمع الجمع (نبايج) لعدم وروده فضرب على الكلمة ثم سها عن وضع الكلمة الواردة في كتب اللغة » (ص ٨)

قلنا ومن الغريب ان يكون مثل الاستاذ لا يرى بأساً بالتصرف بعبارة المتن ولو باسقاط كلمة واحدة بحجة عدم تبين معناها ولا ندري كيف ان العمري نفسه هو الذي همّ بتبديل حرف من كلام كان يعلم انه ليس له بل لجحظة البرمكي بدعوى انه لم يرد في اللغة وهل هذا كله الا تخيل وافتراض محض. وقد كان الاجمل والاحرى ان تترك اللفظة في مكانها من المتن وتثبت على علاتها لعلها تجد من يجلو مبهمها ويعنى بتفسيرها واما ما ارتآه من ان النبائج هي جمع الجمع(نُبُج)بمعنى الغرائر والجوالق السود اي الاعدال الكبيرة التي يوضع فيها التبن ونحوه فاقل ما يترتب عليه ان تكون العادة سبقت في بغداد بين ظرفائها واهل التنوق والترف فيها ان تنضّد الرياحين في الجوالق السود ويهدى نقل الشراب في الاعدال . . . والحقيقة ان النبائج جمع نبيجة وهي الطبق من الخوص او الخيزران وورودها في كتاب الموشّى بصورة نبانيج او

بنانيج ليس الا خطأ من النساخ وتحريفاً وقد وجدناها مستعملة بصيغة المفرد في كتاب الديارات للشابشتي وهذا ما قاله فيها:

« لما صحّ عزم المتوكل على اعذار ابي عبدالله المعتز... كان في صحن الدار ... الف نبيجة خيزران فيها انواع الفاكهة (ورقة ٦٥) فالنبيجة اذن والنبائج كانت في العراق كالاطباق التي تفرش عليها الثمار والازهار بين يدي الباعة اليوم واما اصل الكلمة فقد كتب الينا الاب انستاس ماري الكرملي المرحوم انها لغة عراقية في البنية الواردة بمعناها في معاجم اللغة ومثلها النفية ويقال ايضاً النفيجة لغة اخرى عراقية فيها.

–٢٦٢–١ «قصدت بسر من رأى رائدا بعض كبارها» وفي ارشاد الاريب لياقوت حيث وردت القصة نفسها « قصدت بسر من رأى زائرا بعض كتابها » (١ : ١٧٥) وهو الاصح.

–٢٨٩–١٧ «حوله قلالٍ كثيرة» بدلًا من قلاليّ كما ورد تصحيحها بعد (ص٢٩٤ حاشية٢) ونظيرها برارٍ ببعضه (٢٧٤) بدلًا من براريّ.

–٢٩٢–٨ القلفطار بالفاء والصواب القلقطار بالقاف المثناة باوله وثالثه

–٢٩٩–١٠ « في خارجه منار في الجبل فيها صناديق » والاصل (فيه) لقوله فيما بعد « داخل هذا المنار » مما يدل على انه اراد المنار لا المنارة

–٣٠٢–١٩ بلط واسمها بالفارسية شهراباذا (حاشية ٣) وفي ياقوت شهراباذ بدون الف في الآخر (١ : ٧١٥)

–٣٠٧–٧ كان به راهب يقال له كوريال من عبَّاد النصارى بدلًا من عِباد بكسر العين وهم قوم من نساطرة الحيرة عرفوا بهذا الاسم

–٣٠٨–١٠ غلام امرد نصراني من اهل الحيرة يقال له عشير بن اليأ والاسم الصحيح عيسى ابن ايليا

–٣٣٩–١٨ هو قذى عيونهم الى ان يتخلى وانما هو يتجلى بالجيم مأخوذ من بيت لاحمد بن سعيد الكاتب:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

–٣٤٤–١٠ المبرِّد بكسر الراء وتشديدها والمعروف المبرَّد بالتشديد والفتح لانه لجأ الى

–٣٤٥–١٠ بيت واختبأ في المزمّلة التي يحفظ فيها الماء بعد تبريده فقيل له المبرّد

–٣٥٤–٤ ما الذي اقدمكم هذا البلدَ الجفاةَ اهله والقياس الجفاةُ بالرفع

–٣٦٢–٧ « دير نخيا ... الماء يحيط به من جميع جهاته ... فاذا انصرف الماء اظهرت ارضه غرائب النوار » وفي الشابشتي (فاذا انصرف الماء ... وزُرع) وهي الرواية الفضلى

-٢٦٦-١٥ كان السراج قد طُفئت فتيلته (بضم الطاء) والصواب (طَفِئَت) بفتحها لان طفئ لازم

-٢٧٤-١ الديارات السبع في مكان الديارات السبعة لان مفردها دير وهو مذكر

-٢٧٥-١١ « مرت الاطلاب مزينة الترك وجياد الخيل » قال في الحاشية : يظهر انه سقط كلام في الاصل وربما كانت الجملة هكذا « ومرت الاطلاب مزينة بابناء الترك وجياد الخيل » ثم عاد في التصحيحات فقال « اني بعد امام النظر اتخيل ان الناسخ غير كلمة البرك لانه لم يفهمها بكلمة الترك والبرك كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمصر على عهد المماليك ومعناها السلاح وكثيرًا ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد ويكون المعنى ان الاطلاب مرت مزينة اسلحتها وخيلها الجيدة » (ص ١٦)

وقد اغفل الاستاذ هذه المرة ايضاً كعادته ان يراجع النصوص التي استند اليها لادعاء ان البرك كلمة تركية كانت فاشية الاستعمال بمعنى السلاح في عهد المماليك ولو فعل لاعجزه البحث ان يأتي بشاهد واحد عليها من هذه الشواهد الكثيرة التي توهمها وقد قلبنا ما وسعنا تقليبه من تواريخ المماليك ومعاجم اللغة التركية فلم نقف فيها على اثر للفظة « برك » بالياء والكاف ولا على نص واحد يؤيد استعمالها بهذا الضبط وانما جاءت هنالك كلمة « يراق » بالقاف قبلها الالف بمعنى السلاح فقط خلافاً لدوزي بل اطلقوها على جملة اجهزة المسافر للقتال من امتعة والبسة واسلحة وازودة ودواب وسائر ما يُحتاج اليه من العُدَد والاثقال ولا بأس ان نعزز هذا الاصطلاح ببعض الشواهد لاننا لا نعلم انه سبق لاحد كلام عليه او توسع في تعبيره . قال ابن اياس في مجلد مخطوط من تاريخه في خزانة باريس رقم ١٨٢٥ :

« في صفر (سنة ٩٢٢) قال السلطان للخليفة لما جلس : اعمل يرقك الى السفر وكن على يقظة فانا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الاربعة : اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة حتى تخرجوا صحبتي » (ص ٩) .

وقال بتاريخ يوم السبت ٢٥ صفر من السنة نفسها :

« جلس السلطان في الميدان وعرض الامراء والطبلخانه والعشروات ورؤوس النوب فلما عرضهم قال لهم : اعملوا يرقكم وكونوا على يقظة من السفر » (ص ١٣)

وقال بعد ذلك بتاريخ يوم الثلاثاء ٥ ربيع الاول :

« نزل القاضي شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتم السر عن لسان السلطان الى امير المؤمنين المتوكل على الله بسبب عمل برق الخليفة وقد كشفوا في الدفاتر القديمة ان الخليفة اذا سافر صحبة السلطان يكون جميع برقه على السلطان فكتب الخليفة قوائم بمصروف عمل البرق فكان ذلك بعشرة الآف دينار وقيل خمسة الاف دينار » (ص ١٣).

فليست اذًا كلمة البرك ولا البرق هي التي يترجح ان تكون في متن العمري ولا تخال الاستاذ المحقق الا انه اراد البرك بالباء الموحدة وهي لفظة فارسية من معانيها الاصلية السلاح ورحل المسافر وعُدده ودوابه وزاده وقد سبق استعمالها عصر المماليك ولا يبعد ان تكون قد طرأت على اللغة في عهد السلاجقة او غيرهم من الاعاجم لان ابن الاثير اوردها في تاريخه الكامل في كلامه على بني جهير سنة ٤٩٢ قال في المجلد المخطوط في خزانة باريس رقم ١٤٩٩ :

« في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ما له وبركه واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز (ص ١٢٥).

وقال ايضاً في حوادث سنة ٤٩٤ :

« واخذ عسكر محمد « السلطان اخي بركيا رق » ما تخلف للامير اياز من مال ودواب وبرك وغير ذلك » (ص ١٢٢).

وربما غلب معنى الدواب والركائب على البرك كقول المقريزي « الطواشي من رزقه من سبعمائة الى الف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤوس الى ما دونها ما بين فرس وبرذون وبغل وجمل وله غلام يحمل سلاحه » (الخطط مطبعة النيل ١ : ١٣٩).

وفي كتاب الاعتبار لابن منقذ :

« قال تاج الدولة رحمه الله لحاجبه : سلّم الى هذا الغلام خيل مولاه ودوابّه وخيامه وجميع بركه وسيّره يتبع صاحبه » (ص ٤٠).

وقد ورد استعمال البرك في كثير من اقوال المؤرخين كالقلانسي في ذيل

تاريخ دمشق وابن العديم في زبدة الحلب وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وفي حوادث الدهور وابن قاضي شهبة في تاريخ الذيل وغيرهم واكثر ما يراد به الركائب والثقل والكراع والسلاح فلا حاجة الى استقصاء اقوالهم ولعل ابن اياس انفرد بالجمع بين لفظتي اليرق والبرك كقوله في الكلام على قاسم بن احمد بك بن ابي يزيد بن عثمان ننقله بلحنه وعاميّته:

« كان السلطان قد اقام له برك ويرق وتكلف عنه بنحو الفين دينار حتى يظهر امره » (تاريخه خزانة باريس ١٨٢٥ ص ٣).

واما ضبط اللفظة فـاذا روعي فيها الاصل الفارسي وجب ان ترسم بالباء المكسورة والراء الساكنة مثل سلك ولكنهم عدلوا في الاستعمال عن الكسر الى الفتح فقالوا بَرك واحياناً قليلة بَرَك بفتحتين كانهم ارادوا ان ينظروا فيها الى معنى يَرَق التركية فاجروها مجراها وقد وجدناها مضبوطة مرتين بفتحتين في مجلد مخطوط من كامل ابن الاثير في خزانة باريس رقم ١٥٠١ ووردت في مجلد آخر من الكتاب نفسه بخط المؤرخ عبد الرزاق بن الفرطي بفتحة واحدة بين الباء والراء وما نظنه الا اراد ضبط الراء بها ورسمها مرة اخرى دون اقل شكل.

واذا صح ان يكون العمري تعمد هذه اللفظة الدخيلة في قوله « مرت الاطلاب مزينة » فيكون اراد بها الاثقال والكراع والاسلحة التي تصحب الجنود في الاسفار ولكننا لا نرى اقل حاجة الى كل هذه التخرصات والتأويلات ولا نعلم لماذا عوّل الاستاذ بعد انعام النظر على العدول عن كلمة « الترك » الواردة في النسخة الام وليس ثم ما يعترض دون بقائها وتفسيرها واذا كان هنالك حقيقة كما قال كلام ساقط في الاصل بين كلمتي « مزينة والترك » فلا نرتاب ان العمري اراد ان يقول فيه « مرّت الاطلاب مزينة باقمار الترك وجياد الخيل » وهو ما صرّح به في البيت السادس والثلاثين من الارجوزة التي نظمها في الدير الابيض (ص ٣٧٥):

اقمار ترك فوق شهب الخيل وبينها ادهم مثل الليل

وقد بقيت هنالك هنات وهفوات لا يسلم من مثلها كتاب مطبوع كقوله (ص ٣٥٢) « مما مدح به السيد الرضي لعمر بن العزيز » بدلًا من عمر بن عبد

العزيز وفي (ص٣٥٨) « دير شق معلولا بها صدع فيه ماء ينقط » بدلاً من « به » لان الصدع في الدير وليس في القربة وكتابة « ثم ينقضي بدلاً من « لم ينقض » واقتراحه في باب التصويبات (ص ١٠) ابدال « بؤس العتاب » ببؤس الغياب بدعوى ان العتاب بين الحبيين المتقاطعين المتهاجرين لا بؤس فيه قال في دير حزقيال:

رب ليل امدّ من نفس الما شق طولاً قطعته بانتحاب
ونعيم بوصل من كنت اهوى قد تبدله ببؤس العتاب

وقد جاء بؤس العتاب في غير العمري ايضاً كياقوت (٢ : ٦٥٤) وانما اراد الشاعر مقابلة نعيم الوصل ببؤس الهجر فوضع لضرورة القافية العتاب موضع الهجر لانهما مثلا زمان.

ومن الغريب بعد كل ما تقدم من الاستدراكات والاغلاط قول الاستاذ الطابع ان رجلاً من اهل العلم قرأ هذا الجزء من مسالك الابصار على المؤلف وان المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات واضاف اليه زيادات (ص ١ من المقدمة) فكيف لم ينتبه العمري الى كل ما نعيناه عليه او على الناسخ ومهما يكن فكل ما علقناه لا يقدح في قدر هذه الطبعة الفريدة التي بلغت شأواً بعيداً في الاحسان والاتقان واذا انكرنا عليها اساءة واحدة « جاءت محاسنها بالف شفيع ».

Al farabius. De Platonis philosophia edd. F. Rosenthal et R. Walzer. Corpus Platonicum Medii Ævi, Plato Arabus, vol. II) - In - 8°, VII+ 30 pp. 1xt. + 23 pp. arab. Londini, in œd. Instituti Warbugiani, 1943 (paru en 1944).

كتاب فلسفة افلاطون للفارابي

عني بنشره العالمان روزنتال وڤلتزر في لندن سنة ١٩٤٤ عن مخطوط عربي وحيد محفوظ في مكتبة استانبول (ايا صوفيا رقم ٤٨٣٣) عثر عليه الاستاذ ريتر ونقله الاستاذ بول كراوس، والفارابي استوحى كتابه هذا عن اصل يوناني بلغه عن طريق ترجمة سريانية كما هو شأن معظم تراث يونان الفلسفي والعلمي وقد يكون هذا الاصل اليوناني عائداً لثيون الازمرلي (Théon de Smyrne) في القرن الثاني للمسيح، ولا يخفى على احد ما لهذه النشرة من الاهمية لايضاح بعض غوامض افلاطون وضبط الترتيب التاريخي لمحاوراته (Dialogues) الشهيرة.

Nabia Abbott. *Two Queens of Baghdad. mother and wife of Haroun al Rashid*, In - 8°, VII - 277 pp. The University of Chicago Press. 1946.

الملكتان العربيتان

والدة هارون الرشيد وزوجته

مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٤٦

هي ترجمة خيزران جارية المهدي ثم زوجته الشرعية وزبيدة زوجة هارون الرشيد، وتستند المؤلفة على ما رواه الطبري وياقوت والمسعودي وكثيرون غيرهم من الاخبار والوصف، فاتى كتابها مصبوغاً صبغة علمية وفي ذات الوقت حاوياً على القصص الطريفة والاوصاف الممتعة عن حياة الخلفاء العباسيين مما يلذ القارئ ويخيل اليه انه انتقل الى عالم الف ليلة وليلة. وجدير بالذكر ان زبيدة خلدت اسمها باعمال مفيدة قامت بها كفتح طريق الحج من الكوفة الى مكة وبناء القناطر الحجرية التي تسقي الى الآن مدينة مكة وقد اختلط

اسمها في سوريا عند العامة باسم زنوبة ملكة تدمر ، وكذلك على الشاطىء اللبناني سميت باسمها قناطر نهر بيروت الشهيرة .

J. Sauvaget. *Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman.* Eléments de bibliographie (Collection Initiation à l'Islam, n° 1) In - 8°, 202 pp. Paris, Adrien Maisonneuve, 1943.

تمهيد لدراسة تاريخ الشرق الاسلامي

وضع هذا الكتاب القيّم المستشرق العلامة الفرنسي جان سوڤاجه لفائدة طلاب الاستشراق في فرنسا فيبحث في القسم الاول عن المصادر العلمية ويدرس أهميتها في التاريخ العربي ثم ينتقل في القسم الثاني والثالث الى ذكر هذه المصادر كتاباً كتاباً مع وصف مقتضب لكل واحد فيسهل على الطالب مراجعة هذه المؤلفات وتنظيم مطالعاته بطريقة مثمرة .

I. J. Kratchkowsky. *Penché sur les manuscrits arabes.* Feuillets de souvenirs sur les livres et les hommes. 2ᵉ éd. complétée. In - 8ᵉ. 169 pp. 12 portraits hors - texte.] Publications de l'Académie des Sciences de l'URRS. Moscou. Leningrad, 1946 (en russe).

ذكريات وخواطر عن عالم الاستشراق كتباً ورجالاً

طبع في لنينگراد ١٩٤٦

الف هذا الكتاب المستشرق الروسي الشهير اغناطيوس كراتشكوفسكي اثناء الحرب ثم عاد ونقحه وضبط تفاصيله عندما عاد الى كتبه ومخطوطاته. وهو يقص علينا كيف بادر دراساته في العلوم الشرقية. سنة ١٩٠١ عندما وقع بين يديه لاول مرة في مكتبة سان بترسبورج بعض المخطوطات العربية المخطوطة هناك وهي تعود الى القرن الحادي عشر للمسيح والواحدة منها للقس انطون البغدادي واخرى لكمال الدين واخرى لابي العلاء. وقد تعرف هناك الى شخص من اصل حلبي يُدعى رزق‌الله حسّون عاونه في عمله ويذكر الكاتب كيف قدم بعد ذلك الى بيروت سنة ١٩٠٨ حيث اقام سنتين يدرس في

جامعة القديس يوسف العلوم الشرقية على يد الاب لامنس والاب رونزفال واتصل بالاب شيخو مؤسس هذه المجلة وبالاب صالحاني وقد حفظ لكل واحد منهم ذكرًا صادقاً . وذكر ايضاً اتصاله بادباء العرب من جرجي زيدان وقسطنطين يني ومحمد كرد علي وامين الريحاني ومحمد تيمور وبالاخص ميخائيل نعيمه صديقه ومراسله المخلص ، ثم ينتقل الى وصف مكتبة لنينگراد ومخطوطاتها العربية ويختم بالعودة الى بيروت واساتذتها الفطاحل والى غيرهم من المفضلين على علم الاستشراق .

ج · م ·

J. Sauvaget. *Historiens arabes*. Pages choisies (Initiation à l'Islam) In - 8°, 192 pp. 2 cartes, Paris, Adrien Maisonneuve, 1946.

منتخبات من المؤرخين العرب

جمع المؤلف في هذا الكتاب ٣٢ مقطعاً مأخوذاً عن ٢٤ كاتباً وترجمها الى الفرنسية وقد أحسن انتقاء هذه المقاطع فصور فيها جانباً من حياة الشرق على عهد الخلافة وقدّم لقرائه احسن ما ورد في الادب النثري العربي القديم من الجاحظ الى ابن خلدون والقلقشندي وغيرهم.

Témoignages, IX Israel. L'Islam. *Rome et Jésus*. Cahiers de la Pierre-qui-vire. Mars 1946, 202 pp., in-8°.

الشهادات

هذا الكتاب هو الحلقة الاولى من الاربع الحلقات التي تظهر في عام واحد على شكل المجلة . استوقف نظرنا فيها المقال على نظريات الاسلام في امر المسيح . وخلاصته ان المؤلف يدعو الى تأسيس جمية ادبية علمية مكونة من علماء مسيحيين ومسلمين للبحث في جو من التوادد والتصافي وفي جوار الازهر في القاهرة والتفاهم في شأن المسيح وكيفية اعتقاد المسيحيين فيه والمسلمون غالباً يجهلونها وامل الاتفاق بين الطرفين اقرب وقوعاً مما يظنه البشر لان واجب التعاضد بين القائلين بوجود الله واليوم الاخير يلجئهم الى التضافر لدفع خطر الالحاد عن البشرية .

ف ت

لمحات في الادب العربي

بقلم جورج غريّب

مطبعة المرسلين اللبنانيين جونية ، ١٩٤٨ – ١٦٦ ص . متوسطة

مجموعة دراسات قصيرة و« لمحات » في الادب العربي كتبها ، او اذاعها ، في مناسبات مختلفة الاستاذ جورج غريّب ،مدير الدروس العربية واستاذ الادب والالسنة في معهد عينطورا ، وقدّم لها الاستاذ فؤاد افرام البستاني فقـال ان المؤلف « يُعمل بصره في تحديد الثقافة العامة ، على صدر واسع ، وتفهّم شامل ، وفكرة انسانية صحيحة ، تدفعه الى درس بعض ما وصل الينا من آثار الادب العربي . فيرصد « يقظة الروح في شعر ابي نواس » ويشهد تحليـل الجاحظ في « بخلائه » ، ويسـاير ابن المقفع في بعض آرائـه وحكمه ، ويتغلغل الى سر البحتري في غزله ، غير مُشيحٍ عن التعرّض للمتنبي جبّار شعراء العرب ، وغـير غافل عن بعض الموضوعات العامّة في تكوين شخصيّة الاديب الانساني .»